مكتبة الأسرة ٢٠١٠

سلسلة العلوم الإجتماعية

جولات سياحية

بين آثار القاهرة.. القبطية والإسلامية



د. عائشة التهامي

جَوْلاتٌ سِيَاحِيَّة

بين آثار القاهرة.. القبطية والإسلامية

مكتبة الأسرة
٢٠١٠



المشرف العام
د. محمد صابر عرب

تصميم الغلاف
د. مدحت متولى

الإشراف الفنى
ماجدة عبد العليم
على أبو الخير
صبرى عبد الواحد

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
المجلس القومى للشباب
وزارة التنمية الإقتصادية

جولات سياحية

بين آثار القاهرة.. القبطية والإسلامية

د. عائشة التهامي

مكتبة الأسرة ٢٠١٠

جولات سياحية

لوحة الغلاف للمستشرق : كارل أوسكار بورج

التهامى، عائشة
جولات سياحية بين آثار القاهرة.. القبطية والإسلامية/ عائشة التهامى .ـ ط1 .ـ القاهرة: دار العالم العربى، ٢٠٠٩ .
٢٩٢ ص ؛ ٢٤ سم (سلسلة العلوم الاجتماعية).
تدمك ٦ - ٧٨١ - ٤٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ ـ الآثار
أ - العنوان
رقم الإيداع بدار الكتب ٣٧٢٣ / ٢٠١١
I.S.B.N 978-977-421-781 -6
ديوى ٩١٣,٠٣١

المحتـــويـات

الفصل الثانى

تقــديم

تُعتبر القاهرة أكثر العواصم الإسلامية احتشاداً بالآثار والأبنية الدينية المختلفة، ففيها من المعابد اليهودية والكنائس والمساجد والمدارس والخانقاوات والوكالات والأسبلة والبيمارستانات ما لا يُحصى كثرةً وتعدداً.. وهذا التنوع الأثرى أضفَى عليها مكانة تاريخية متميزة، لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنها مكانة لا تتوافر لغيرها من مدن وعواصم الدول الإسلامية بنفس ذلك القدْر الذى تتمتع به القاهرة!

غير أن تذليل المعلومات عن آثار القاهرة التاريخية وتبسيطها لتقديمها إلى القارئ العادى أو المرشد السياحى المبتدئ أو طالب الآثار والسياحة، قد بات أمراً مضنياً مقلقاً.. فمثل هذه المبانى الأثرية لا تتيسر عنها مادة علمية «وافية» و«موثقة» إلا فى مراجع متخصصة ضخمة، تَصْعُب مطالعتها على غير الخبير المختص، ولا تتوافر إلا فى المكتبات القومية، أو مكتبات الجامعات، وما سواها من المكتبات الأخرى الكبرى.. ومن هنا فقد صار أمر تيسير المعلومة التاريخية والأثرية لراغبها مطلبًا ضروريًا جدًا، وغاية يسعى إليها كل عالم بالآثار.. ومن ثَم، فقد شمّرتُ ساعد الجد للوفاء بهذه الرغبة لكل متطلع إلَى المعرفة الأثرية؛ فقدمتُ فى كتابى هذا جُملة من أشهر وأبرز الآثار المتميزة بمدينة القاهرة، وبسطتُ المختصرَ المفيدَ عنها من حيث تاريخها وظروف إنشائها، وسيرة منشئها، ووصفها المعمارى، وأهم مميزاتها الفنية والأثرية، وذلك فى إيجاز لا يخل بالمادة العلمية المطلوبة، ولا يُغْفِل كذلك أى شرح

أثرى مهم. وأملى أن أكون قد حققتُ بذلك رغبات طلابى ومحبى الآثار كى يتعرفوا بيسر وسهولة على آثار القاهرة.. عاصمة المحروسة الخالدة.

والله من وراء القصد أولاً وأخيرًا، عليه توكلت، وبه ـ وحده ـ التوفيق.

د. عائشة التهامى

الفصل الأول

• القسم الأول

كنائس الفسطاط (حى «مصر القديمة» حاليًا)

• القسم الثانى

مساجد القاهرة وآثارها الإسلامية

منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الأيوبية

تمهيـــد

لقد أصبحت مصر جزءًا من العالم الإسلامى بعد أن فتحها الصحابى الجليل «عمرو بن العاص» سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، فى عهد أمير المؤمنين وثانى الخلفاء الراشدين «عمر بن الخطاب». وبعد أن استقرت الأمور، بدأ «عمرو بن العاص» فى بناء أول مدينة إسلامية بقارة إفريقيا كلها، ومن ثَم فقد ضمت هذه المدينة أول مسجد جامع بالقارة المذكورة، وأصبحت مصر ولاية إسلامية، فتعاقب عليها الولاة من قبَل الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم الخلفاء الأمويون والعباسيون، وذلكَ من سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م إلى سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م.

ولم يبقَ من عصر الخلفاء الراشدين سوى جامع «عمرو»، الذى جُدد وأصبح يمثل عدة عصور.. ومدينة الفسطاط، وهذه المدينة لم يبقَ منها سوى أطلالها.

أما الدولة العباسية، فلم يبقَ منها سوى مقياس النيل بجزيرة الروضة الذى أمر بإنشائه الخليفة «المتوكل على الله» سنة ٢٤٥ـ٢٤٧هـ/ ٨٥٩ـ٨٦١م.

الدولة الطولونية (٢٥٤ـ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ـ٩٠٤م)

لقد استقلت هذه الدولة بحكم مصر على يد مؤسسها «أحمد بن طولون» الذى أدخل إلى مصر أساليب العمارة والزخارف العراقية، وأنشأ «أحمد بن طولون» مدينة القطائع، التى بنى بها مسجده الذى سُمى باسمه، ولا يزال

شاهدًا على مبلغ حضارة وعظمة تلك الدولة بما حواه من فنون عديدة ونقوش جصية اعتُبِرت أسسًا للزخارف الجصية فى مصر. وقد عمرت هذه الدولة ٣٨ عامًا.

الدولة الإخشيدية (٣٢٤ - ٣٥٨ هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)

بعد أن انقرضت الدولة الطولونية، عادت مصر ولاية عباسية من سنة ٢٩٢ - ٣٢٢هـ/ ٩٠٤ - ٩٣٤م، ولم تلبث كثيرًا حتى تغلب عليها «محمد بن طغج الإخشيد» (وطغج بمعنى عبد الرحمن، والإخشيد لقب بمعنى ملك الملوك)، وصارت مصر مملكة إخشيدية من سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م حتى سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م.

وبالرغم من أنها عمرت زهاء ٣٥ عامًا، فإن آثارها اندثرت كلها، اللهم إلا بقايا مشهد «آل طباطبا».

الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ/ ٩٦٩ - ١١٧١ م)

مؤسس هذه الدولة فى مصر هو الخليفة الفاطمى «المعز لدين الله»، الذى أرسل قائده «جوهرًا الصقلى» لفتحها والاستيلاء عليها، حيث كانت مصر مغنمًا كبيرًا للدولة الفاطمية. وقد أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من مدينتهم القاهرة وعاصمتهم الزاهية على أرجاء الأرض، وأخذ الفن المصرى الإسلامى يتألق فى جميع نواحيه، وتبارى خلفاء هذه الدولة فى إنشاء المساجد والحصون والأسوار والبوابات والقصور والمناظر والبساتين، كما تبارت نساؤهم أيضًا فى هذا المضمار الخيرى.

وفى هذا العصر الزاهى، انتشرت الزخارف فى واجهات المساجد التى اعتُنى بتصميمها وعمارتها، حيث أدخلت إلى مصر بعض أساليب العمارة فى بلاد المغرب، وأنشئت فى عهدها مشاهد على القبور المنسوبة إلى أهل البيت ذات تصميم خاص، كما امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المتنقلة.

وكانت أيامهم كلها أعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال المُلْك وطرب الشعب وبهجته. وكما هو معروف، فإن كثيراً من هذه الحفلات وتلك التقاليد باقية حتى الآن شاهدة عيان على ذلك العصر الذهبي.

الدولة الأيوبية (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠ م)

انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين من الزمان، وخلفت وراءها ثروة فنية ضخمة، ولكن أكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة غير اسمها، فقد كان الأمر خلال نهاية هذا العصر في يد الوزراء، حيث كان الأمر والنهي في أيديهم لضعف خلفائهم.

ومن ثم، فقد استطاع «الناصر صلاح الدين الأيوبي» أن ينهي حكم الخلفاء الفاطميين ليسدل الستار على حكم الشيعة بمصر، وأن يؤسس الدولة الأيوبية ذات المذهب السُّني، ويتصدى للجهاد الأعظم المتمثل في ردع الهجوم الصليبي عن بيت المقدس.

وبالرغم من أن فترة حكم الأيوبيين كانت قصيرة (حوالي ثمانين عامًا) انصرف معظمها في الحروب المستمرة ضد الصليبيين، إلا أن هذه الحروب كان لها أثرها الكبير في عمائرهم ذات الطابع الحربي من قلاع وحصون، كما يرجع إليهم الفضل في إدخال بعض الأساليب المعمارية والطرز الفنية، مثل المدارس، والخانقاوات، والقباب، والأضرحة. وفي ظل دولتهم، شاع الخط النَّسْخي بجانب الخط الكوفي على آثارهم المعمارية وتحفهم التطبيقية، وتقدمت صناعاتهم الخشبية والنحاسية، وكذلك الجصية والزجاجية.

القسم الأول

كنائس الفسطاط

(حى «مصر القديمة» حاليًا)

كنائس مصر القديمة

فى حى «مصر القديمة» بجنوب القاهرة، توجد بعض أهم الآثار الرومانية والكنائس فى مصر، حيث يوجد حصن «بابليون» الرومانى، وهو الذى يسمى بقصر الشمع. ومن أمثلة الكنائس القبطية فى هذه المنطقة: الكنيسة المعلقة، وكنيسة «أبى سرجة»، وكنيسة القديسة - أو الست - «بربارة»، وكنيسة «أبى سيفيْن». وتحتل هذه الكنائس أهمية تاريخية وفنية، إضافةً إلى مكانتها الدينية فى قلوب مسيحيى الشرق والغرب.

الكنيسة المعلقة

عُرفت هذه الكنيسة بالمعلقة لأنها مشيدة فوق الحصن الرومانى، ولا يزال جزء منها - حاوى المعمودية - موجودًا أعلى أحد البرجين. وكانت هذه الكنيسة مكرَّسة للسيدة العذراء.

تاريخ الكنيسة

أغلب الظن أن هذه الكنيسة قد بُنيت فى أواخر القرن الرابع الميلادى أو بداية القرن الخامس الميلادى؛ وذلك اعتمادًا على مجموعة من الأخشاب القديمة التى يحتفظ بها المتحف القبطى بالقاهرة، والتى تمثل دخول السيد المسيح - عليه السلام - إلى أورشليم.

وقد مرت الكنيسة بأعمال ترميم وإصلاح عديدة، ففى العصر الفاطمى أجريَتْ بها بعض الترميمات، إذ سمح الخليفة الفاطمى «المعز لدين الله» للأنبا «إبرام» - البطريرك الثانى والستين - بترميم الكنيسة، وكذلك فى نهاية القرن ١٢هـ/ ١٨م على يد المعلم «عبيد أبى خزام»، كما اهتم المرحوم «نخلة بك الباراتى» بالأحجبة الخشبية المطعمة بالصدف والعاج والأيقونات والأنبل الرخامى، وكان ذلك فى أواخر القرن ١٩م.

شهرة الكنيسة المعلقة

ترجع شهرة الكنيسة المعلقة إلى عدة أسباب، من أهمها: أنها نُقل إليها الكرسى المرقسى من مدينة الإسكندرية فى القرن ٥هـ/ ١١م على يد الأنبا «خرستودلوس» البطريرك السادس والستين، وهو أول من أقام بها صلاة القداس بعد وصوله مصر، واستمر بها الكرسى مدة طويلة إلى أن نُقل إلى كنيسة «أبى سيفين» فى القرن ٨هـ/ ١٤م. ويُعتبر بناء هذه الكنيسة فوق أحد أبراج حصن بابليون رمزًا لانتصار المسيحيين على طغيان الرومان وجبروتهم.

أما من الناحية الفنية والأثرية، فإن هذه الكنيسة تشتهر بالأيقونات الموزعة على جدرانها، والتى يبلغ عددها تسعين أيقونة، يرجع أقدمها إلى القرن ٩هـ/ ١٥م تقريبًا، وأغلبها يعود إلى نهاية القرن ١٢هـ/ ١٨م.

الوصف المعمارى

تبلغ مساحة هذه الكنيسة حوالى ٢٣,٥ × ١٨,٥م، وارتفاعها ٩ أمتار، وتحتوى على صحن أوسط ينقسم إلى أربعة أقسام تحوى ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية، ويغطى هذا الصحنَ والهياكلَ سقفٌ جمالونىٌّ من الخشب. وتعد هذه الكنيسة الوحيدة التى تغطى هياكلها قباب صغيرة. ومن العناصر المعمارية والفنية بهذه الكنيسة: باب من خشب الصنوبر مطعم بالصدف والعاج

بزخارف هندسية وكتابة كوفية، بأسفلها نص يقول: «العز الدائم والسعادة الدائمة لصاحبه»، ويرجح أن يكون هذا الباب من العصر الأيوبى.

أما المعمودية فهى من الجرانيت، وعليها زخارف من الفسيفساء. والمنبر (أو الأنبل) الرخامى يرتكز على خمسة عشر عموداً من الرخام، ويرجع تاريخه إلى القرن ٥هـ/ ١١م.

وتضم هذه الكنيسة مجموعة من الهياكل المهمة يبلغ عددها خمسة، الأول: هيكل «مار مرقص»، وحجابه مطعم بالصدف والعاج والأبنوس بنقوش جميلة، ويرجع تاريخه إلى القرن ٧هـ/ ١٣م. والثانى: باسم القديس «تكلا هيانوت» الحبشى، وحجابه مطعم أيضًا بالصدف والعاج بنقوش جميلة، ويرجع للقرن ٦هـ/ ١٣م. والثالث: باسم «يوحنا المعمدان»، وحجابه مطعم بالأبنوس. والرابع: حجابه من خشب الجوز، ومطعم بالعاج ونقوشه بارزة. والخامس: باسم «مار جرجس»، وهو مطعم بالعاج والأبنوس، وذو نقوش بارزة.

كنيسة «أبى سرجة»

تقع هذه الكنيسة إلى جوار المتحف القبطى بمصر القديمة وسط الحصن الرومانى، وهناك إجماع على أنها قد شُيدت فى نفس المكان الذى أقامت به العائلة المقدسة عند هروبها من وجه «هيرودس» ملك اليهود، مما جعلها مقصداً للزائرين من جميع الطوائف المسيحية.

تاريخ الكنيسة

يرجع تاريخ إنشاء هذه الكنيسة إلى أواخر القرن الرابع الميلادى وأوائل القرن الخامس الميلادى باسم «سرجيوس» و«آخيس»، وهما جنديان مشهوران استُشهدا بسوريا فى أوائل القرن الرابع الميلادى. ولرؤساء هذه الكنيسة تاريخ

حافل مع الولاة المسلمين، وقد صحب «مروان بن محمد» ـ آخر خلفاء بنى أمية ـ رئيسَ هذه الكنيسة أثناء هروبه من الفسطاط إبان مطاردة جيوش العباسيين له.

الوصف المعمارى

وتخطيط هذه الكنيسة عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل، تبلغ أبعادها ٢٨,٥ × ١٦,٥م، وارتفاعها ١٥مترًا، وتقع على عمق ٣ أمتار عن مستوى الشارع. ويفصل صحنَ الكنيسة عن جناحيها القبلى والبحرى ثلاثةُ صفوف من الأعمدة الرخامية، ويغطى صحنَ الكنيسة والهيكلَ الأوسط سقفٌ جمالونىٌّ من الخشب.

أما المغارة فتقع على عمق ١٠ أمتار من مستوى سطح الشارع، وهى كنيسة صغيرة، مساحتها ٦م × ٥,٢م، وتحوى صفيْن من الأعمدة الرخامية تقسمها إلى ثلاثة أقسام، ويوجد بها مذبح بتجويف ومعمودية. ويُحتفل فيها كل سنة بذكرى دخول السيد المسيح والسيدة العذراء ـ عليهما السلام ـ أرض مصر. وهناك سلم آخر بالمغارة يؤدى إلى الهيكل البحرى، وبه بئر وحجاب من الخشب المطعم بالصدف والعاج.

ويوجد بصحن الكنيسة حجاب أوسط مطعم بالصدف والعاج وعليه نقوش هندسية، ويرجع للقرن ٤هـ/ ١٠م. وتعلو الحجاب صورة السيدة العذراء وهى تحمل السيد المسيح طفلاً، وعن يمينها ويسارها صورة الرسل. ويوجد داخل الهيكل مذبح تعلوه قبة خشبية ترتكز على أربعة أعمدة، وبصحن القبة منبر رخامى يرتكز على عشرة أعمدة.

كنيسة «القديسة بربارة»

تقع هذه الكنيسة بحارة القديسة «بربارة» بمصر القديمة داخل أسوار الحصن بالقرب من كنيسة «أبى سرجة» والمتحف القبطى.

تاريخ الكنيسة

تأسست هذه الكنيسة فى أواخر القرن الرابع الميلادى وأوائل القرن الخامس الميلادى، وكُرِّسَتْ باسم السيدة «بربارة» التى وُلدت فى القرن الثالث الميلادى لأسرة غنية وثنية . . فلما اعتنقت الديانة المسيحية، غضب والدها من ذلك وقتلها.

وترجع أهمية هذه الكنيسة إلى الأحجبة الخشبية التى تعد آية فى الفن وجمال الزخارف النباتية والهندسية، وكذلك رسوم الطير والحيوان والرسوم الآدمية، والتى يُنسب معظمها إلى العصر الفاطمى . . وهى محفوظة حاليًا بالمتحف القبطى بالقاهرة.

الوصف المعمارى

وتخطيط هذه الكنيسة ذو شكل مستطيل؛ إذ تبلغ مساحتها ٢٦ × ١٤,٥م، وارتفاعها ١٥ مترًا. وتعد كنيسة الست «بربارة» من أجمل كنائس مصر القديمة، حيث يغطى صحنَ الكنيسة والهيكلَ الأوسطَ سقفٌ خشبىٌّ جمالونىُّ الشكل. وتحتوى الكنيسة على أنبل رخامى يتكون من مقصورة مستطيلة الشكل محمولة على ١٠ أعمدة رخامية صغيرة. وتتميز الأحجبة الخشبية لكنيسة الست «بربارة» بتطعيمها بالعاج بزخارف هندسية جميلة ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى.

كنيسة «أبى سيفين»

تقع هذه الكنيسة شمال حصن بابليون، وتحمل اسم الشهيد القديس «مرقوريوس» المعروف بـ«أبى سيفين»، وقد كان ضابطًا بالجيش الرومانى واعتنق المسيحية، فاستُشهد فى سبيل ذلك.

تاريخ الكنيسة

لقد تهدمت هذه الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى، ثم جددها الأنبا «إبرام

السرياني» ـ البطريرك الثاني والستون ـ في القرن ٤هـ/ ١٠م في زمن الخليفة «المعز لدين الله» الفاطمي. وقد أحرقت الكنيسة في نهاية القرن ٦هـ/ ١٢م في زمن الوزير الفاطمي «شاور»، ثم عُمِّرَتْ مرة ثانية. وهذه الكنيسة ذات قيمة تاريخية وفنية مثل بقية كنائس مصر القديمة.

الوصف المعماري

وتخطيط هذه الكنيسة مستطيل الشكل؛ إذ تبلغ مساحتها ٥, ٣١ × ٢١م. وبها أكبر مجموعة من الأيقونات. وتوجد في خارج الكنيسة الكبرى، كنيسة أخرى صغيرة ملحقة بها، مستطيلة الشكل أيضًا، تحمل اسم القديس «يوحنا المعمدان»، وبها ثلاثة هياكل صغيرة، ومعمودية تحوي حجابًا خشبيًا به نقوش بارزة لرسوم قديسين وزخارف هندسية، كما يوجد بها حجاب مزخرف آخر من الخشب، عليه رسوم بارزة تمثل قديسين وحيوانات وطيورًا.

معبد «بن عزرا»

يمثل معبد «بن عزرا» ـ الواقع بمنطقة مَجْمَع الأديان بحي مصر القديمة ـ أهمية كبيرة لكونه المعبد اليهودي الوحيد الذي يتوسط الكنائس القبطية القديمة من ناحية، وجامع «عمرو بن العاص» ـ أول جامع بمصر الإسلامية ـ من ناحية أخرى، كما يحتل مكانة عظيمة لدى اليهود لم يشهدها أيٌّ من الأبنية اليهودية السابقة عليه أو التالية له.

ويشكّل المعبد بالمثل أهمية دينية لدى مسيحيّي مصر؛ فقد كان في وقت من الأوقات مكانًا لإقامة الشعائر الدينية المسيحية، ولكن الأقباط ـ مع هذا ـ لم يطلقوا عليه وصف الكنيسة، وإنما ظل معروفًا عندهم باسم «معبد بن عزرا»!

وفي القرن التاسع، قامت الطائفة اليهودية بدفع مبلغ مالي كبير لسداد ديون

متراكمة على الأقباط فى مقابل عودة المعبد والأراضى المحيطة به إلى اليهود مرة أخرى. . ومنذ ذلك الوقت والمعبد مخصص لليهود دون غيرهم.

وقد كان لمعبد «بن عزرا» دور كبير فى تكوين مجتمع يهودى حوله فى الفسطاط؛ فقد كانت الطوائف اليهودية المصرية - من قَرَّائين وربّانيين وغيرهم من ملَل اليهود الأخرى - يعيشون حول هذا المعبد؛ إذ كان فناؤه مركزًا لتجمّع اليهود فى مناسباتهم المختلفة لإقامة طقوسهم الدينية، كما كان لطائفة الربانيين محكمة خاصة بهم تقع إلى جوار المعبد. . ومن ثم، فقد استقرت هذه الطوائف فى المكان الحالى لمدينة الفسطاط بحى مصر القديمة ومارست الأعمال والمهن المختلفة داخل المجتمع المصرى جنبًا إلى جنب مع المسيحيين أو المسلمين دون تعصّب عنصرى أو خلافات مذهبية.

وقد قُدِّرَ عدد اليهود الذى سكنوا الفسطاط حول المعبد فى منتصف القرن الثانى عشر بحوالى سبعة آلاف نفس. . وكانوا يعيشون فى ذلك الوقت شرقىّ حصن بابليون، وكانت لهم سوق تضم معظم تجارتهم عُرفت بـ «سويقة اليهود».

وقد زادت أهمية معبد «بن عزرا» فى العصر الحديث بعد اكتشاف كميات هائلة من الأوراق والكتب والمحفوظات التى تُعرف فى اليهودية بـ «الجنيزاه»، حيث عُثر عليها فى حجرة سرية بالطابق العلوى عام ١٨٩٦م. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وُجد بالمعبد سفْر التوراة مكتوبًا بخط «عزرا» الكاتب فى نصف القرن الأخير قبل الميلاد، وقد بقى محفوظا داخل المعبد حتى نُقل خارج البلاد بعد اكتشافه بقليل. . كما نُقلت وثائق «الجنيزاه» إلى عدة جامعات عالمية، كانت جامعة كامبردج البريطانية آخرها. . ولا تزال هذه الأوراق محل البحث والدراسة حتى الآن.

آراء حول تسمية المعبد

ذهب الباحث والمهندس المعمارى «داوود كاسوتو» إلى أن هذا المعبد يُنسب

إلى «عزرا الكاتب» وليس إلى «أبراهام بن عزرا»، وربما كان تشابه الاسمين هو السبب فى تسمية المعبد بـ«بن عزرا» وليس بـ«عزرا».

هذا، ويطلق على المعبد كذلك مسميات أخرى، مثل: «معبد موسى»، و«معبد الجنيزاه».

الوصف المعمارى

صُمِّمَ الموقع العام للمعبد على شكل مستطيل؛ فطول ضلعه ١٤٠ مترًا تقريبًا، وعرضه ما بين ٢٠ - ٣٥ مترًا. ويبلغ مجمل مساحة الموقع حوالى ٣٥٠٠ متر مربع. وتحيط به كنائس مسيحية ومقابر خاصة بالأقباط فى منطقة حصن «بابليون» الرومانى القديم.

ويتكون المعبد من طابقين، الأرضى منهما للرجال، أما الأعلى فللنساء. وحول المنطقة سور من الحجارة. وطول المعبد ذاته ٢١,٥ متر، وعرضه ١٢,٥ متر، وارتفاعه ٨,٥ متر. وتوجد خلف المعبد من الجهة الجنوبية بئر مياه تسمى «مكفاة» تستعمل لأغراض الطهارة. ويحمل سقفَ المعبد اثنا عشر عمودًا من الرخام النفيس ذى التيجان متنوعة النقوش، ومثلها اثنا عشر عمودًا أخرى من الأسمنت المُحلَّى بالزخارف تقع فى صفين بوسط المعبد فى الطابق الأرضى منه، وتقسم الصالة إلى ثلاثة أقسام. كما توجد فى كلٍّ من الجدارين الشمالى والجنوبى ثلاث حَنْيَات تُستخدم كمكتبات، وكان كلٌّ منها يضم مجموعة من الكتب تحمل أسماء المتبرعين بها وقد كُتبت باللغة العبرية.

ويقع المدخل الرئيسى للمعبد فى الجهة الجنوبية الغربية. ويتوسط الجدارَ الشرقيَّ الهيكلُ الحاوى خزانة سفر التوراة، وهو مرتفع قليلا عن أرض الصالة الداخلية، ويُصْعَد إليه بسَلالم من الرخام. والهيكل مصنوع من الخشب المطعم بحشوات من الصَّدَف والعاج تشكل عناصر زخرفية إسلامية ذات طابع هندسى، يعلوها شكل ذهبى اللون شبيه بالقبلة فى مساجد المسلمين، كما يعلوه قوس ذو لونين أبيض وأسود، وعلى جانبيه كتابات دينية

عبرية، ويعلوه لفظ الجلالة «الله» والوصايا العشر مكتوبة بالعبرية، ومنقوش عليه تاريخ الصنع - عام ١٩٠٢ - بما يدل على أن الهيكل قد رُمِّم وجُدِّدَ فى هذا التاريخ.

وعلى جانبى الهيكل غرفتان صغيرتان كانتا تُستخدمان فى الوقت الذى تحول خلاله المعبد إلى كنيسة، إذ كانتا تستعملان كمكانيْن للاعتراف. فلما استرد اليهود المعبد، صارت هاتان الغرفتان مكانًا لإيواء الزوار الباحثين عن الشفاء. وتوجد أمام المعبد - بصفة عامة - زخارف مُذَهَّبَة أكسبته جمالاً ورونقًا معماريًا فريدًا، ومعظم هذه الزخارف من الطراز الإسلامى.

نلاحظ بعد ذلك أن أبواب الهيكل تحمل رموزًا عبريةً دينية. وثمة ثريا معلقة على يمين الهيكل تحمل أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة مكتوبة باللغة العربية، ومثلها ثريا أخرى نحاسية تتدلى من السقف، وهى على شكل مخروط، وتحمل اسم السلطان المملوكى «قلاوون» مكتوبًا باللغة العربية.

وتتوسط المنصةُ الرئيسيةُ الصالة المستطيلة، وتتوزع حولها مقاعد المصلين فى الجهتين الشمالية والجنوبية. وهذه المنصة مصنوعة من الرخام، ويُصعد إليها بعدة درجات لتُلْقَى من فوقها المواعظ وتُتْلَى الصلوات. وإلى جوار المنصة، توجد قطع مستطيلة من الرخام تحمل كتابات عبرية تشير إلى أن سيدنا «موسى» - عليه السلام - كان يتعبد الله عز وجل فى هذا المكان، داعيًا إياه أن ينقذ بنى إسرائيل. وهذه الكتابات موزعة على الجهات الأربع للتركيبة الرخامية، كما تحمل أسماء المتبرعين بها.

وتقع شرفة النساء فى الطابق العلوى، ويُصْعَد إليها بسلم خشبى من خارج المبنى من جهته الجنوبية. وهى تحيط بالمعبد من جميع جهاته عدا الجهة الشرقية التى تعلو الهيكل، وتطل على صالته الرئيسية.

وفى نهاية شرفة النساء من الجهة الشمالية الشرقية، توجد غرفة «الجنيزاه» التى أسهمت فى شهرة هذا المعبد. وهى غرفة مغلقة من جهاتها الأربع باستثناء أعلاها؛ إذ كانت تلقى بداخلها الكتب والأوراق على امتداد فترة زمنية طويلة،

حتى اكتُشفت ونُقلت محتوياتها سنة ١٨٩٦ إلى جامعة كامبردج لدراسة وبحث محتوياتها التى اعتُبرت وثائق وأدلة على تاريخ اليهودية فى مصر، وكذا تاريخ المنطقة منذ العصور الوسطى.

هذا، ويَجْدُر بالذكر أن المعبد قد مر بمراحل من الترميم الشامل والتجديد فى القرن الماضى شملت كُلاً من مبانيه ومقتنياته، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من الجمال المعمارى والفخامة الفنية.

القسم الثانى

مساجد القاهرة وآثارها الإسلامية
منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الأيوبية

مدينة الفسطاط

بعد أن استقرت الأمور، وتم فتح مصر، بدأ «عمرو بن العاص» سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م فى تأسيس مدينة لتكون عاصمة لمصر الإسلامية. فكانت الفسطاط، أصل القاهرة الحالية. وفى موقع حصن بابليون، كان فى استطاعة العرب أن يؤسسوا مدينة جديدة حسب تقاليدهم الإسلامية. وقد كان «عمرو بن العاص» موفقًا فى اختيار موقع الفسطاط الذى يمتاز بحصانة طبيعية؛ إذ تحميه تلال هضبة المقطم من الشرق والشمال، ويحميه من الغرب نهر النيل.

وعن تسمية هذه المدينة باسم الفسطاط، فقد جاء بصددها الكثير من الآراء، منها: أنها كلمة عربية، وليست مأخوذة من اسم المدينة اليونانى أو الحصن أو الخندق الذى كان عند بابليون (فسطاطوم). إذن فهى كلمة عربية كانت تطلق على المدينة ومجتمعها، وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الفسطاط»؛ أى فى المدينة التى بها مجتمع الناس.

وبعد أن وضع «عمرو بن العاص» أساس جامعه سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، اختط مدينته الجديدة حول جامعه الجديد، وذلك بأن أخذت كل مدينته فى بناء مساكنها. وقد كانت فى مبدإ أمرها بسيطة فى عمارتها وتخطيطها؛ إذ تكوّن كلٌّ منها من طابق واحد، غير أنها لم تلبث - بحكم العادة - أن تطورت حتى صارت بعض الدور تشتمل على أفنية بوسطها فسقيات، وحول هذه الأفنية أروقة وقاعات وغرف، خُصِّصَ بعضها لسكنى الحريم (الحرملك)، وبعضها الآخر للاستقبال والرجال (السلاملك).

ولقد استمرت الفسطاط عاصمة للديار المصرية وداراً للإمارة ينزل بها أمراء مصر، حتى بُنيت العسكر سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م. ولكن حينما بنى «أحمد ابن طولون» مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ/ ٧٨٠م، أقام بها، وظلت إلى أن انقضى العصر الطولونى، فعاد أمراء مصر يسكنون العسكر، إلى أن قدم «جوهر الصقلى» - قائد «المعز لدين الله» الفاطمى - وشيد القاهرة، فأصبحت العاصمة، وأصبح يسكن الفسطاط رعية المسلمين من المصريين.

جامع «عمرو بن العاص»

هو أقدم وأول المساجد الإسلامية بمصر وإفريقيا. بُنى سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، وقد أنشأه الصحابى الجليل والقائد العظيم والسياسى المحنك «عمرو ابن العاص» - وكان من أجلاء قريش وأحسنهم رأيًا وتدبيرًا - على مساحة صغيرة شمالى حصن بابليون المعروف بقصر الشمع. وقد عُرف هذا المسجد فى العصور الإسلامية الأولى بتاج الجوامع والجامع العتيق، وكان وقتَ ذاكَ مشرفًا على النيل. وقد وقف على تحرير قبلته جمع من الصحابة رضوان الله عليهم.

الوصف المعمارى

كانت مساحة جامع «عمرو بن العاص» وقت إنشائه حوالى ٥٠ × ٣٠ ذراعًا (الذراع =٦٣ إلى ٦٥ سم)، وكان الطريق يحيطه من كل جهة، ولا صحن له، وكانت تسوده البساطة، وليس له محراب مجوف ولا مئذنة ولا فَرْش، وكان له ستة أبواب أيام «عمرو بن العاص». ومن طريف ما يُرْوَى، أن «عَمْرًا» لما اتخذ لمسجده هذا منبرًا، كتب إليه الخليفة «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - يأمره بكسره. ويقال إن «عَمْرًا» أعاده بعد وفاة «عمر بن الخطاب».

وقد اتسعت رقعة المسجد على مر العصور، ففى العصر الأموى زُوِّدَ بأعمدة رخامية، وارتفع سقفه، وبلغ عدد أبوابه ١١ بابًا، وأدخل عليه المحراب والمنبر والمئذنة.

زيادة المسجد

لقد أجرى على هذا الجامع الكثير من الزيادات والتجديدات، بحيث لم يبقَ منه شيء البتة من بناء «عمرو بن العاص» الأصلى، وأصبح لا يشتمل على شيء من الجامع القديم الذى بناه «عمرو» غير مساحة الأرض المباركة التى بُنى عليها، وهى على يسار الواقف فى رواق القبلة تجاه المحراب.

وقد تمت الزيادة الأولى على يد «مَسْلَمَة بن مخلد الأنصارى» فى سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م، فزاد فى مساحته، وغطى أرضه بالبلاط وفرشه بالحصير، وأدخل عليه نظام المئذنة فوق الأركان الأربعة للجامع.

وتمت الزيادة الثانية على يد «عبد العزيز بن مروان» سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م، حيث وسع المسجد، علاوة على الزيادة الأولى.

وتمت الزيادة الثالثة على يد «قرة بن شريك» سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، حيث وسع المسجد بأكمله بأن هدمه ثم زاد فى مساحته، وضم إليه دارى «عمرو ابن العاص» وابنه «عبد الله»، وأحدث به محرابًا مجوفًا، ووضع له منبرًا خشبيًا، وأحدث به المقصورة.

أما الزيادة الرابعة فتمت فى سنتين مختلفتين، وهما: ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، و١٧٥هـ/ ٧٩١م، وفى كلتا الزيادتيْن وُسعت مساحة الجامع.

وكانت الزيادة الخامسة هى أكبر الزيادات على هذا الجامع وآخرها، وذلك سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م على يد والى مصر «عبد الله بن طاهر» من قبل الخليفة العباسى «هارون الرشيد»، بأن ضوعفت مساحة الجامع حتى بلغت ١١٢,٥ × ١٢٠,٥م (وهى مساحته الحالية)، كما زُين الجامع بزخارف مختلفة من الجص والخشب.

أعمال الإصلاح والترميم

لقد سُجلت لجامع «عمرو بن العاص» إصلاحات وترميمات على مر

العصور، حيث ذكرها الرحالة والمؤرخون ووصفوها فى متون كتبهم. ومن أهم عمارات جامع «عمرو بن العاص»: عمارة الأمير «مراد بك» سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، حيث هَدَم الجامع وأعاد بناءه بسبب ميل أعمدته وسقوط بعض أروقته، فبُنيت عقود بوائكه فى وضع غير وضعها الطبيعى، وذلك بتغيير اتجاه عقود بوائكه بجعلها عمودية على جدار القبلة.. كما بنى مئذنتين ذواتَىْ طراز عثمانى، إلا أنهما قصيرتان نسبيًا.

وكان الفراغ من هذه العمارة آخر جمعة فى شهر رمضان، وأثبت تاريخ هذه العمارة على أربع لوحات تأسيسية من الرخام فوق الأبواب الغربية والمحرابين الكبير والصغير، وأصبحت إقامة صلاة آخر جمعة (الجمعة اليتيمة) فى شهر رمضان بجامع «عمرو» عادة، ففيها إحياء لذكرى القائد العظيم الذى توفى آخر أسبوع من رمضان.

وهكذا مر جامع «عمرو بن العاص» بالعديد من أعمال الإصلاح والترميم حتى العصر الحديث فى عهد المجلس الأعلى للآثار.

مقياس النيل (٢٤٧هـ/٨٦١م)

كان قياس ارتفاع النيل ذا أهمية بالغة، إذ إن حق جباية الضرائب أو خراج الأرض كان يتوقف على ارتفاع مياه النيل إلى مستوى معين يمكّن الفلاح من رى الأرض.

ويُعد مقياس النيل بجزيرة الروضة ثانى الآثار الإسلامية قدمًا بعد البقايا التى لا تزال قائمة بجامع «عمرو بن العاص». وهو يُنسب إلى العصر العباسى، حيث بُنى فى عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، بأمر الخليفة العباسى «المتوكل». وقد بقى المقياس كله فى حالة جيدة بفضل أعمال الإصلاح والصيانة التى قامت بها وزارة الأشغال سنة ١٩٢٧م.

وقد أجمع المؤرخون على أن هذا المقياس قد شُيد سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، ويُثْبِتُ هذا من خلال نص تسجيلي على شريط حجري يحيط بفوهة البئر من أعلاها، ويُعد هذا أقدم مثل للكتابة التسجيلية على العمائر الإسلامية فى مصر، وأن البئر قد بُنيت على يد «أحمد بن محمد الحاسب»، بكتابات كوفية. وقد قام «أحمد بن طولون» سنة ٢٩٥هـ/ ٨٧٣م بإصلاحات فى المقياس، وسَجل هذا على شريطين كتابيين.

ويُعد بناء المقياس فخرًا هندسيًا للمهندسين العرب المسلمين من عدة نواح، أولاها أن جدران البئر التى شُيدت من الحجر المنحوت المتقن قد صُممت بحيث يزيد سمكها كلما ازدادت عمقًا فى الأرض.

والبئر مبنية على ثلاثة أدوار، السفلى منها على هيئة دائرة، يعلوه دور مربع ضلعه أكبر من ضلع الدور السفلى، أما الدور العلوى الأخير فهو مربع، ضلعه أكبر من ضلع الدور الأوسط.. وهذا التدرج فى سمك الجدار يدل على دراية ومعرفة بالنظرية الهندسية الخاصة بازدياد الضغط الأفقى على الجدران كلما ازداد عمقها.

ومما هو جدير بالذكر، أن أسلوب نحت الحجارة يدل على كفاية ودقة فائقة، بالإضافة إلى حُسْن انتقاء نوع المونة التى استُخدمت فى لصق الأحجار، فقد ظلت تقاوم التحلل بفعل الماء ما يزيد عن ألف سنة. ويُعد العنصر الرئيسى فى المقياس هو العمود الأوسط الرخامى الذى حُفرت عليه علامات الأذرع والقراريط التى تعيِّن مناسيب الماء فوق الطبلية الخشبية، ويبلغ ارتفاع العمود نحو ١٠,٥م.

وقد جرى العرف على أن كل المراحل الهندسية كان لا بد من الانتهاء منها فى الفترة ما بين هبوط النيل إلى الحد الذى يكاد فرع النيل الواقع بين الروضة والفسطاط يجف فيه تمامًا، وبين بدء فيضانه مرة أخرى، أى ما يقرب من ستة أشهر فقط.

القطائع

ولد «أحمد بن طولون» ببغداد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، وتلقى علومه ونشأ وترعرع فى مدينة (سامراء). وقد جاء إلى مصر نائبًا، فدخلها سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، وتزوج من ابنة قائده، فترك له الولاية على مصر، وضم إليه الإسكندرية أيضًا، وأرسل إليه قائلاً: «تُسَلِّم من نفسك لنفسك».

وقد أقام «ابن طولون» فى أول الأمر بمدينة العسكر شمالىّ الفسطاط، فظلت مركز الإدارة والإمارة.. ولكن لما ضاقت بجنوده وعساكره، شرع فى بناء مدينة جديدة شمالى مدينة العسكر، واتخذها مركزًا لحكمه ومقرًا لجنده وحاشيته الذين اقتسموها بينهم قطائع، فسُميت مدينة القطائع، وأصبحت بذلك ثالثة العواصم الإسلامية فى مصر بعد الفسطاط والعسكر.

وفى القطائع أنشأ «أحمد بن طولون» قصره الذى كان بمثابة نواة للمدينة، وكان يقع فى الفضاء المعروف حاليًا بميدان «صلاح الدين» فى حى القلعة، وكان هذا الميدان تُلعب فيه لعبة الكرة والصولجان التى تشبه لعبة "البولو" فى الوقت الحاضر، فسُمى القصر كله بالميدان. وكان للقصر عدة أبواب، ولم يبقَ منه للأسف شىء يذكر.

وقد توفى «أحمد بن طولون» سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م، وله مُلك لا يعادله ملك الخليفة العباسى نفسه.

جامع «أحمد بن طولون»

يقع حاليًا بميدان «أحمد بن طولون»، وهو مبنىّ فوق ربوة صخرية كانت تعرف باسم «جبل يشكر»، نسبةً إلى اسم رجل صالح كان يسكن هذه المنطقة، أو نسبةً إلى اسم قبيلة «يشكر»، تلك القبيلة التى كان أفرادها يتخذون من تلك البقعة خطة لهم أقاموا فيها منازلهم عند تأسيس الفسطاط فى عهد «عمرو بن العاص».

ويحتل جامع «ابن طولون» أهمية خاصة بين الآثار الإسلامية فى مصر، فهو ثالث مسجد جامع بُنى فى مصر الإسلامية بعد جامع «عمرو بن العاص» وجامع العسكر، ويُعد أيضًا أقدم مسجد جامع فى مصر باق على حالته الأصلية مقارنةً بجامع «عمرو» الذى توالت عليه الإصلاحات حتى لَم تبقَ منه غير مساحة قطعة الأرض التى أقيم عليها. كما أنه يُعد من أكبر المساجد فى مصر، حيث تبلغ مساحته الكلية حوالى ستة أفدنة ونصف الفدان.

الوصف المعمارى

يتبع تخطيط جامع «ابن طولون» تخطيط المساجد الإسلامية الجامعة المُنشأة على طراز مسجد الرسول ﷺ فى المدينة المنورة، حيث يتكون من صحن كبير تحيط به أروقة ذات عقود، أهمها وأكبرها رواق القبلة لما يضمه من عناصر معمارية تساعد على وظيفة المسجد الجامع، مثل المحراب والمنبر ودكة المبلغين.

والمسجد على شكل مربع، يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل أيضًا تحيط به الأروقة من جهاته الأربع، أكبرها رواق القبلة الذى يتكون من خمسة صفوف من البوائك، عقودها المدببة محمولة على دعامات مبنية من الآجر، وفى أركانها أعمدة مدمجة، أما الأروقة الأخرى فكلٌ منها يحتوى على صفين من البوائك ذات العقود المدببة أيضًا.

وأسوار المسجد عالية مرتفعة، تتسم بالبساطة، وتنتهى بعرائس أو شرافات. ويحتوى المسجد على عدد كبير من الأبواب يبلغ عددها ٢١ بابًا، وعدد أكبر من النوافذ يبلغ عددها ١٢٩ نافذة.

ومما هو جدير بالذكر، أن بطون العقود وما حول النوافذ وعقودها محلاة بزخارف جصية تحتوى على عناصر نباتية وهندسية تمثل أقدم الأمثلة لمثل هذا النوع من الزخرفة فى مصر الإسلامية.

ومحراب المسجد من المحاريب المجوفة، يكتنفه عمودان من الرخام، وهو

على شكل تجويف نصف دائرى فى جدار القبلة، وتزخرفه وَزْرَات رخامية ملونة، وزخرفة من الفسيفساء الزجاجية المذهبة تحوى كتابة بالخط النسخى وعبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وتُنسب هذه الأعمال بالمحراب إلى عهد السلطان المملوكى «حسام الدين لاچين». وهناك أربعة محاريب أخرى يرجع أقدمها لعهد الخليفة الفاطمى «المستنصر بالله»، وبذا يبلغ عدد المحاريب بالمسجد خمسة محاريب جصية.

أما المنبر فهو من خشب الساج الهندى، ويوجد على يمين المحراب، وحشواته مُجَمَّعَة ومُطَعَّمَة بالعاج وسن الفيل، وقوام زخارفه أطباق نجمية وزخارف نباتية مورقة (أرابيسك)، وهى جميعها تنسب إلى أعمال السلطان «لاچين» أيضًا.

أما الفسقية فتتوسط الصحن، وهى عبارة عن حجرة مربعة تغطيها قبة كبيرة، وتتوسطها فسقية من الرخام، وهى أيضًا من أعمال السلطان «لاچين».

أما عن المئذنة فهى من الحجر، وتقع ملاصقة لحائط الزيادة الغربى، وسلمها خارجى ذو أربع قلبات، يُصعد منه إلى سطح، يليه سلم حلزونى نصف دائرى، والجزء العلوى على هيئة مبخرة.. وتعتبر هذه المئذنة الوحيدة ذات السلم الخارجى، ومن ثم فهى تعرف بـ «المَلْوِيَّة»، متأثرة فى ذلك بمئذنة المسجد الجامع بسامراء المعروفة بالملوية.

أما عن أهم وأقدم أعمال الإصلاح، فهو ما تم فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة «المستنصر بالله» على يد «بدر الجمالى»، وقد سُجل ذلك فى لوح رخامى فوق الباب البحرى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م. وثمة زيادات وإصلاحات أخرى جرت فى عهد السلطان «لاچين» خلال العصر المملوكى.

وبالجامع أقدم لوح رخامى تأسيسى، سُجل عليه بالخط الكوفى البسيط اسم الأمير «أحمد بن طولون» وتاريخ الفراغ من إنشاء الجامع سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، على إحدى دعائم رواق القبلة بالبائكة الثالثة.

ومما هو جدير بالذكر، أن الجامع يضم خمسة محاريب جصية.

بيت الكريدلية

هو عبارة عن بيتين يتصلان من أعلى بقنطرة (ساباط)، ويعرف حاليًا بمتحف بيت الكريدلية أو متحف «جاير أندرسون»، وهذا الأخير هو ضابط إنجليزى من هواة جمع الآثار الإسلامية، وقد طلب من لجنة حفظ الآثار العربية تسليمه منزل الكريدلية ليعرض به مجموعته الأثرية، فوافقت اللجنة على تسليمه هذا المنزل والمنزل المقابل له، وهو منزل «آمنة بنت سالم الجزار»، وقامت اللجنة بترميم المنزلين فى مقابل أن يترك مجموعته الأثرية هبة لمصر، وقد كان. وتعود أهمية هذا المتحف إلى كونه نموذجًا حيًا لما كانت عليه المنازل فى العصر العثمانى منذ القرن ١٠هـ/ ١٦م.

وأحد هذين المنزلين أطلق عليه اسم «آمنة بنت سالم» آخر من امتلك هذا البيت فى القرن ١٠هـ/ ١٦م، أما المنزل الآخر فقد عُرف باسم «بيت الكريدلية»- أو (الكريتلية)- نسبةً إلى آخر مَن سكنته، وهى سيدة يرجع أصلها إلى عائلة من جزيرة كريت. ويقع الباب الرئيسى بالمنزل الأول، ويقابل الداخل منه صُفة، ثم ينثنى مع المدخل المنكسر إلى اليسار فى طرقة معقودة تؤدى إلى الفناء الذى يحتوى فسقية جميلة تلطف جو الدار. وقد تنوعت عقود الأبواب حول الفناء والجفوت.

ويحتوى هذا البيت على الكثير من التفاصيل الفنية من أبواب ذات عقود ومقرنصات، وأبواب تطل على الفناء بعقود تحملها أعمدة من الرخام. والسقف ذو زخارف مذهبة تحمل اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء، ومن المقعد يصل الزائر إلى قاعة كبيرة تطل على المدخل الرئيسى للدار، كما تطل على الفناء (الحوش)، وهى كبقية قاعات الدار مقسمة إلى إيوانين بينهما درقاعة، وبجدارها شبابيك جصية معشقة بالزجاج الملون، وقد خُصصت هذه القاعة لجلوس الرجال فى فصل الشتاء. ويمتاز هذا المنزل بوجود كثير من المشربيات.

ومما هو جدير بالذكر، أن هذين المنزلين يحتويان على خصائص المنزل

الإسلامى فى مصر خلال القرنين ١٠ - ١١هـ / ١٦ - ١٧م من حيث الاهتمام بالزخرفة الداخلية، أما من الخارج فهما خاليان من الزخارف، باستثناء المداخل الرئيسية والمشربيات الجميلة المُشكَّلة من خشب الخرط، بالإضافة إلى مراعاة النواحى الصحية من تهوية وإضاءة ودخول أشعة الشمس، وكذلك احتواء كل دار على حديقة لتكون متنفسًا لأهلها.

أما عن المجموعات الفنية المتحفية التى يضمها هذان المنزلان، فترجع إلى عصور إسلامية مختلفة وأماكن متفرقة، فهى من صناعة مصر والشام وآسيا الصغرى وإيران، إلى جانب بعض التحف من الشرق الأقصى، وخاصة بلاد الصين، علاوة على بعض التحف الأوربية، ولا سيما قطع الأثاث الإنجليزى القديم التى خصص لها «جاير أندرسون» قاعة أسماها باسم الملكة الإنجليزية «آن ستيوارت».

مدينة القاهرة

قام القائد الفاطمى «جوهر الصقلى»، عقب فتحه مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، بتأسيس مدينة القاهرة المعزية، تمهيدًا لانتقال الخليفة الفاطمى إليها، حيث كانت هذه المدينة معقلاً وحصنًا وحاضرة للفاطميين فى مصر. وقد سُميت بالقاهرة تفاؤلاً وتيمنًا بالنصر. وتعد مدينة القاهرة رابع حاضرة فى مصر الإسلامية بعد الفسطاط والعسكر والقطائع. وقد أراد «المعز» أن يجعل من مدينة الفسطاط مدينة العامة، وأن يجعل من مدينة القاهرة مدينة الخاصة. وكان القصر الشرقى الكبير الذى أقامه «جوهر» لسيده «المعز» يقرب فى مساحته من ٤٠ فدانًا، وكان يشتمل على مجموعة من القصور الصغيرة كقصر الزمرد وقصر الحريم وقصر الذهب وخلافه. وبنى الخليفة «العزيز بالله» الفاطمى قصرًا آخر مقابلاً لقصر أبيه، وكان يسمى القصر الغربى الصغير، وكان هذا القصر يشغل مساحة ٣٠ فدانًا، وكانت جملة هذه القصور تسمى القصور الزاهرة، ولم يتبق منها غير بضع لوحات خشبية منحوتة تُعتبر غاية فى الإبداع، ويحتفظ بها حاليًا متحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

الجامع الأزهر

هو أول جامع شُيد بالقاهرة. أنشأه القائد «جوهر الصقلى» بأمر مولاه الخليفة «المعز لدين الله» الفاطمى، وقد شرع فى بنائه سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، وكان الفراغ منه سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م، وكان الهدف منه أن يكون مسجدًا جامعًا للقاهرة، إلى جانب أن يكون معهدًا لنشر المذهب الشيعى.

الوصف المعمارى

لقد كانت مساحة الجامع الأزهر وقت بنائه تقرب من نصف مساحته الحالية، وكان تخطيطه وقت إنشائه يتكون من ثلاثة أروقة حول الصحن. الشرقى منها - وهو رواق القبلة - يتكون من خمس بلاطات، على حين يتكون كلٌّ من الرواقيْن الآخريْن من ثلاث بلاطات، أما الجانب الغربى فلا يحتوى على أروقة، ويتوسطه الباب الرئيسى، وكانت تعلوه مئذنة.

ويقطع الرواقَ الشرقى - وهو رواق القبلة - مَجَازٌ قاطع يتجه مباشرة إلى المحراب وقد ارتفعت عقوده وسقوفه عن مستوى الجامع، حيث زُخرفت حافة عقود هذا المجاز بكتابات كوفية، أما خواصرها فقد زُخرفت بزخارف نباتية مورقة (أرابيسك). ومما هو جدير بالذكر، أن عقود هذا المجاز القاطع هى الباقية فقط من عقود الجامع الأصلى القديم؛ فقد كان لهذا الجامع منبر خشبى قديم، ولكنه نُقل إلى جامع «الحاكم بأمر الله» الفاطمى. وقد كان الخليفة الفاطمى يخطب مرة فى الأزهر، ومرة فى جامع «الحاكم»، ومرة فى جامع «عمرو بن العاص»، ومرة فى جامع «أحمد بن طولون».

الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى

فى عهد الخليفة «الحاكم بأمر الله» سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، جُدد الجامع

وجُعل له تنوران وسبعة وعشرون قنديلاً من فضة، وصُنع له باب ذو مصراعين خشبيين تعلوه حشوات عليها شريط من الكتابة بالخط الكوفى المزهر، نصها: «مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه». وهذا الباب محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وفى عهد الخليفة «الآمر بأحكام الله» سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، عُمل للجامع محراب من خشب الأرو ذو زخارف نباتية وهندسية، وعلى جانبيه عمودان رشيقان، ويعلوه لوح كتابى بالخط الكوفى نُقش عليه اسم «الآمر بأحكام الله» وتاريخ الصنع. ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بهذا المحراب لتعرّضه للحريق.

وفى عهد الخليفة «الحافظ لدين الله» سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، زاد فى الجامع بلاطة فى كل جهة من جهاته الأربع، وأقام على رأس المجاز القاطع جهة الصحن قبة حفلت بنقوش جصية بارزة من زخارف نباتية مورقة وزخارف كتابية.

الجامع الأزهر فى العصر المملوكى

لقد جرت فى عصر المماليك البحرية والجراكسة كثير من أعمال الإصلاح والتجديد بالجامع الأزهر، أهمها سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، حيث أمر السلطان «الظاهر بيبرس البندقدارى»، الأمير «عز الدين أيدمر الحلى» بعمل منبر لم يبقَ منه إلا لوحته التاريخية المحفوظة بمتحف الجزائر، كما أمره بتجديد الجامع الأزهر وزخارفه الجصية الدقيقة التى تعلو المحراب القديم.

المدرسة الطيبرسية

تقع على يمين الداخل إلى الجامع الأزهر، وقد أنشأها الأمير «علاء الدين طيبرس خازندار» فى دولة «الناصر محمد بن قلاوون»، وجعلها مسجداً لله

تعالى زيادةً فى الجامع، وكان بها دروس للفقهاء الشافعية، وألحق بها ميضأة وحوض ماء سبيلاً لشرب الدواب، وكانت فيها خزانة كتب. وقد أبدع فى تذهيب سقوفها وزخرفة رخامها، وانتهى من عمارتها سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م.

المدرسة الأقبغاوية

تقع على يسار الداخل إلى الجامع، وبها الآن مكتبة الأزهر الشريف. أنشأها الأمير «علاء الدين أقبغا عبد الواحد» أستادار الملك «الناصر محمد بن قلاوون» سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م، والباقى منها قديمًا مدخلها وواجهة القبة ومحرابها والمئذنة.

المدرسة الجوهرية

تقع فى الطرف الشرقى الشمالى عند باب السر للجامع الأزهر. شيدها الأمير «جوهر القبقبائى»، خازندار الملك «الأشرف برسباى»، سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م. وهى مدرسة صغيرة تشتمل على أربعة إيوانات، يتوسطها صحن مفروش بالرخام الملون، وبداخلها مدفن منشئها الذى توفى سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م.

الجامع الأزهر فى عهد السلطان «قايتباى»

فى عهد ذلك السلطان، هُدم باب الجامع الكبير (وهو باب الجامع القديم الذى تعلوه المئذنة)، وجدده وأقام على يمينه مئذنة ذات ٣ دورات. كما حفل الباب بنقوش وكتابات كوفية مزخرفة.

الجامع الأزهر فى عهد السلطان «قنصوه الغورى»

أمر هذا السلطان ببناء مئذنة للجامع، وهى مئذنة عالية امتازت بتلبيس القاشانى، وتنتهى قمتها برأسين.

الجامع الأزهر فى العصر العثمانى

لقد كان للجامع الأزهر نصيب كبير من ولاة مصر وأعيانها فى العصر العثمانى، وأكبر زياداته قام بها الأمير «عبد الرحمن كتخدا» سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م، حيث زاد فى مساحة الجامع زيادة كبيرة، وذلك بإضافة رواق خلف المحراب، سُمى برواق «عبد الرحمن كتخدا»، جعل أرضيته وسقفه أكثر ارتفاعًا من أرضية وسقف الجامع، وبنى به محرابًا جديدًا ومنبرًا، وجعل له بابين عظيمين، أحدهما يسمى باب الصعايدة، يعلوه كُتاب لتعليم الفقراء. . وأنشأ رواق الصعايدة، كما أنشأ لنفسه مدفنًا على يسار الداخل. . وأنشأ باب الشوربة، كما أنشأ بجواره مئذنة. وأنشأ كذلك الباب الغربى الكبير - وهو الباب الرئيس للجامع الأزهر - بزخارفه الدقيقة فى الحجر والرخام.

أبواب القاهرة الفاطمية

١ - باب النصر

وهو أول باب أقامه الأمير «بدر الجمالي» - وزير الخليفة «المستنصر بالله» الفاطمي - في الأسوار الجديدة. وقد بدأ البناء في سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م كما هو مسجل في نقش كتابي منحوت على الحجر، نصه: (بدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة).

ويعد بناء هذا الباب من أنفس الأبنية الحربية الباقية بمصر الإسلامية؛ فالواجهة تتكون من بدنتين مربعتين، وهما مستطيلتا القاعدة، وبارزتان خارج البوابة وخارج الأسوار، كما نُقشت عليهما في الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس تزودنا بفكرة واضحة عن أشكال آلات الحرب وقتَ ذاكَ.

ويتوسط البدنتين باب مرتفع شاهق، به فتحة من أعلاه كي تُصَبّ منها المواد الحارقة على من يحاول اقتحامه، ويعلوها شريط من الكتابات يحيط بالبدنتين.

وينقسم ارتفاع كلٍّ من البدنتين (حوالى ٢٢م) إلى ٣ طوابق، يتراجع كلٌّ منها تراجعًا خفيفًا عن الطابق السفلي، وتتوسط واجهة الطابق الثاني سُرَر وجامات زخرفية بارزة منحوتة، أما الباب نفسه فيعلوه عقد نصف دائري محصور داخل إطار زخرفي مستطيل، تتوسطه لوحة حجرية نُقشت عليها بالخط الكوفي عبارة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، عليّ ولي الله)، وقد

وُضعت هذه اللوحة فوق عقد عاتق توجد بأسفله عتبتان مستطيلتان من الحجارة تتكونان من صنج مُعَشَّقَة فى شكل زخرفى جميل، وهذا النوع من الصنج المعشقة يعد أقدم مثل معروف فى عمارة مصر الإسلامية.

٢- باب الفتوح

بُنى هذا الباب سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وقد أنشأ «بدر الدين الجمالى» بين هذا الباب وباب النصر سورًا يصل بينهما بطرق وسراديب. ويتكون هذا الباب من برجين مستديرين يتوسطان المدخل، وتوجد فى جانبى البرجين طاقتان كبيرتان، تدور حول فتحتيهما حلية مكونة من أسطوانات صغيرة، وهو نوع من الزخارف انتشر فيما بعد. وتوجد فى أعلى المدخل كوابيل على هيئة كبش بقرنين، وهذا النموذج من الكوابيل لا مثيل له فى العمارة الإسلامية بمصر.

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بطريقين، أحدهما فوق السور، والآخر من تحت السور، وهو ممر معقود، تقع على جانبه فتحات المزاغل والحجرات المعقودة، وهو بحالة جيدة تعطى لنا فكرة واضحة عن نظام الحصون المصرية فى العصر الفاطمى، وخاصة فى نهاية القرن ٥هـ/ ١١م.

٣- باب زويلة

هو أحد أبواب القاهرة. قام ببنائه الأمير «بدر الجمالى»- وزير الخليفة الفاطمى «المستنصر بالله»- سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م. ويعتبر هذا الباب أحد أبواب ثلاثة بقيت من أبواب مدينة القاهرة الفاطمية، وسُمى هكذا نسبة إلى قبيلة «زويلة» من قبائل البربر التى جاءت مع جيش «جوهر الصقلى» من المغرب.

وباب زويلة يشبه إلى حد كبير باب الفتوح، حيث يتكون من بوابة عظيمة معقودة وعلى جانبيها برجان عظيمان مقوسان عند القاعدة وأكثر استدارة من برجى باب الفتوح. ويشغل باب زويلة مساحة مربعة تقريبًا، ويشتمل على ممر

مسقوف كله بقبة ترتكز على أربعة مثلثات كروية، وتشغل أعلى عمل من البرجين حجرة تشرف على مدخل البوابة.

ويلاحظ وجود ثلاث فتحات مزاغل بأعلى واجهتي البرجين، وهي مسدودة حاليًا، ويمكن رؤية دوائر هي أطراف الأعمدة الرابطة للبناء كما هو موجود في بابي النصر والفتوح.

وفي عهد السلطان «قايتباي»، قام الأمير «يشبك من مهدي» بتعلية هذا الباب وإصلاحه، هذا علاوة على أن البرجين تعلوهما حاليًا مئذنتا مسجد الملك «المؤيد شيخ» الملاصق لباب زويلة.

جامع «الحاكم بأمر الله»

يقع هذا الجامع حاليًا بنهاية شارع «المعز لدين الله» (بالجمالية) ملاصقًا لباب الفتوح، ولقد كان عند بداية إنشائه خارج أسوار القاهرة، فلما قام «بدر الجمالي» ببناء الأسوار الجديدة للقاهرة في سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، صار مسجد «الحاكم» داخل تلك الأسوار، والتصق الجدار الشرقي منه بها فيما بين بابي الفتوح والنصر.

ولقد أمر بإنشاء هذا الجامع الخليفة الفاطمي الثاني «العزيز بالله بن المعز لدين الله» سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، ولكن لم يتم الانتهاء من البناء في عهده بالرغم من أنه أدى صلاة الجمعة فيه سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وقام ابنه «الحاكم بأمر الله» - الخليفة الفاطمي الثالث - سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م بإتمام البناء والانتهاء منه سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، ولهذا سُمي الجامع باسم «الحاكم بأمر الله».

الوصف المعماري

هناك تشابه كبير بين جامع «الحاكم» وجامع «أحمد بن طولون» من حيث مادة البناء؛ فهي من الآجر، ما عدا المآذن فهي من الحجر، وكذلك العقود المدببة

التى على شكل حدوة فرس ترتكز على دعامات (أكتاف) مستطيلة فى أركانها أعمدة مدمجة.

أما الصحن فمكشوف تحيط به أربعة أروقة، أكبرها رواق القبلة، ويغطى الأروقة سقف خشبى. كذلك فإن جميع بوائك المسجد فى بيت الصلاة والرواق المقابل له موازية لجدار القبلة، ما عدا بائكتى بلاطة المحراب فهى عمودية على جدار القبلة (كما هو الحال فى الجامع الأزهر). وتوجد بنهايتى جدار القبلة قبتان، بالإضافة إلى قبة بلاطة المحراب.

ويتميز هذا الجامع بمدخله الرئيسى ذى البروز الخارج عن سَمْت الواجهة، وهو ما يطلق عليه بالمدخل التذكارى، وهى ظاهرة فريدة ليس لها مثيل إلا فى جامع المهدية بتونس، وبذا يعد هذا أول مدخل تذكارى بارز لجامع بمدينة القاهرة.

وتنتهى واجهة المدخل الرئيسى ببرجين، يتكون كلٌّ منهما من مكعبين يعلو أحدُهما المكعب الآخر، ويرجع المكعب الأول لعصر إنشاء الجامع، أما المكعب العلوى فمن عمل الأمير «بيبرس الجاشنكير». وتوجد بالبرج الشمالى مئذنة أسطوانية الشكل، أما البرج الجنوبى فتوجد به مئذنة أخرى ذات شكل مربع يعلوه مثمن، وقوام زخرفة بدنى المئذنتين زخارف نباتية وهندسية متقنة، علاوة على الأشرطة الكتابية ذات الخط الكوفى المزهر.

أعمال الإصلاح والترميم والتجديد

فى عهد السلطان «الناصر محمد بن قلاوون»، أصلح المسجد وجُدد على يد الأمير «ركن الدين بيبرس الجاشنكير»، وذلك عندما تعرَّض المسجد لزلزال أصاب مدينة القاهرة سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، وهذا مثبت فى نقش كتابى بالمسجد.

وجُدد المسجد أيضًا فى عهد السلطان «الناصر حسن بن قلاوون».

كما أضيفت مئذنة ثالثة للجامع بجوار الباب الكائن على يمين المحراب فى العصر المملوكى .

وعلى يد السيد «عمر مكرم» نقيب الأشراف فى القرن ١٣هـ / ١٩م ، تم بالمسجد أهم الإصلاحات ، وهو تجديد أربعة صفوف من البوائك برواق القبلة ، وجعلها مسجداً للصلاة ، وكذلك كسوة القبلة بالرخام ووضع منبر بجوارها .

ومما يؤسف له ، أن هذا المسجد قد أهمل فترة من الزمان خلال القرنين ١٢ ـ ١٣هـ / ١٨ ـ ١٩م ، واستُخدم حامية إبان الحملة الفرنسية ، ومن بعد ذلك أقام فيه قوم من الشام مغازل لنسج الحرير ومعامل لصناعة الزجاج ، ولكنه عاد مرة أخرى واستُخدم متحفًا لدار الآثار العربية فى نهاية القرن ١٣هـ / ١٩م ، كما أقيمت فى جامع «الحاكم» مدرسة «السلحدار» الابتدائية . . ولكن فى سنة ١٩٢٧م اهتمت إدارة حفظ الآثار العربية اهتمامًا كبيرًا بإصلاح جامع «الحاكم» ، حيث أصلحت عقوده وأكتافه ، وأعادت بناء المجاز القاطع ، كما نزعت الكسوة الرخامية التى وضعها السيد «عمر مكرم» على المحراب ، فانكشف المحراب القديم ، ثم أعيد تركيبها على محراب حديث على يمين المحراب القديم .

ومما هو جدير بالذكر ، أن جامع الحاكم بصورته الحالية من تجديد طائفة البهرة ، وهم من الهنود الشيعة .

الجامع الأقمر

يقع هذا الجامع بشارع «المعز لدين الله» (النحاسين) . وهو من مفاخر العمارة الفاطمية ، ويعد من المساجد المعلقة ، وكانت توجد أسفله مجموعة من الحوانيت .

وقد أنشئ هذا الجامع فى عهد الخليفة «الآمر بأحكام الله» سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وكان وزيره حينَ ذاكَ هو «الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى» ، فاستكمل بناءه سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م ، كما هو مسجل على واجهة المسجد بالخط الكوفى .

وأهم ما يميز هذا الجامع هو واجهته التى لا تماثلها ولا تضارعها فى زخارفها البديعة واجهة أخرى فى مساجد القاهرة الحافلة بالنقوش الزخرفية والكتابات الكوفية والآيات القرآنية والنصوص التاريخية، كما اشتملت على مقرنصات وعقود مُخَوَّصَة تتوسطها دوائر مكتوب بها (محمد) و(على)، وتنتهى الواجهة بناصية بها مقرنص من حَطَّتَيْن.

الوصف المعمارى

المسجد صغير الحجم، يؤدى إليه باب بارز قليلاً عن الواجهة، ويحتوى على صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة، أكبرها رواق القبلة الذى يشتمل على ثلاث بوائك من عقود فارسية ترتكز على أعمدة رخامية غُطيت سقوفها بقباب ضحلة صغيرة.

ويوجد المحراب فى صدر رواق القبلة، ويغشى عقدَه رخامٌ ملونٌ دقيقٌ، تعلوه لوحة تذكارية تسجل العمارة التى قام بها الأمير «يلبغا السالمى» فى عهد السلطان «الظاهر برقوق». أما المنبر الموجود فهو بقايا المنبر الفاطمى، بالرغم من اللوحة التأسيسية الموجودة، والتى تحمل اسم الأمير «يلبغا السالمى» وسنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م.

وتقع المئذنة على يسار الباب، ولم يبقَ منها سوى بدن دورتها المستدير والدورة الأولى، أما علوها فقد تهدم سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م. والبقية الباقية منها تثبت أن المئذنة كانت ذات نقوش ومقرنصات، وهى من إنشاء الأمير «يلبغا السالمى».

وفى العصر العثمانى، أجريت أعمال ترميم وتجديد للجامع، فى أوائل القرن ١٢هـ/ ١٩م، على يد الأمير «سليمان أغا السلحدار»، وذلك فى العقود التى تحيط بالصحن.

هذا، وقد عُنيت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح وترميم الجامع الأقمر منذ

القــرن ١٤هـ/ ٢٠م، ولا يزال يرمَّم حـتى يومنا هذا برعـاية المجلس الأعلى للآثار.

جامع «الصالح طلائع»

يقع هذا الجامع خارج باب زويلة على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر. وهو آخر أثر للفـاطميين في مصر. وقـد تم إنشاؤه في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وبُني مرتفعًا عن سطح الأرض بحوالي ٤ أمتار، وأسفله من جهة الواجهة توجد حوانيت. (وأمثال هذا المسجد تسمى بالمعلقة).

الصالح طلائع

هو «أبو الغـارات» الملقبُ بالملك «الصـالح طلائع بن رزيك». وقـد ترقى في الوظائف، ثم ولي الوزارة في خلافة «الفائز بنصر الله» الفـاطمي سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، ولُقب بالملك الصالح. وقُتل في سنة ٥٥٦هـ/ ١٦٦١م بدهليز القصر الفاطمي، ودُفن بتربته التي أنشأها بجوار مسجده.

الوصف المعماري

يتكون المسجد من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة، أكبرها رواق القبلة الذي يضم منبرًا خشبيًا ذا زخارف تحتوي على حشوات هندسـية بداخلها زخـارف نباتيـة تمثل حلقة الاتصـال بين الزخارف الفـاطمـية والأشكال الهندسـية ذات الأضـلاع المتعـددة، والتي تعد بداية تكوين الأشكال النجمـية أو الأطباق النجمـية إبان العصر الأيوبي، ومن ثم تطورت وازدهرت وأصبـحت من مميـزات العـصـر المملوكي.. وهذه الزخـارف الهندسـيـة ذات الأشكال النجمية هي تلك الموجودة على المنبر. وعلى يمين المنبر يقع المحراب، وهو بسيط في زخرفته، ويكتنفه عمودان من الرخام الأحمر.

وتنفرد واجهة هذا الجامع بأنها مكونة من خمسة عقود مثلثة الشكل تكوّن

سقيفة تتقدم المسجد، وهى أول مثال لها فى المساجد المصرية، وربما أخذها الفاطميون عن شمال إفريقية ممثلة فى جامع «أبى قتادة». كما أن للمسجد ثلاثة مداخل محورية، وهى أيضًا من ضمن الاقتباسات عن المسجد الأموى بدمشق.

أعمال الإصلاح والترميم

أهم عمارة بمسجد «الصالح طلائع» هى تلك التى بالمنبر الخشبى، وقد نُقشت بنص كتابى فوق جلسة الخطيب باسمه وألقابه وتاريخ سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وكذلك على المنبر.

وفى عهد السلطان «قايتباى»، قام الأمير «يشبك من مهدى» بالكشف عن باب زويلة وعن سلم هذا الجامع، فانكشفت الدرجات وظهرت الأعمدة. ومنذ أوائل القرن ١٤هـ/ ٢٠م اهتمت لجنة حفظ الآثار العربية اهتمامًا كبيرًا بإصلاح وترميم هذا الجامع.

المشهد الحسينى

وهو مدفن رأس الإمام «الحسين» سيد شباب أهل الجنة. وهو «الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف» القرشى الهاشمى، أبو عبد الله، ريحانة النبى ﷺ. وُلد لخمس خَلَوْنَ من شهر شعبان سنة ٤هـ/ ٦٢٥م، واستُشهد بمدينة كربلاء، ويُعرف قبره إلى اليوم بمشهد «الحسين».. ولكن هناك آراء وروايات تاريخية كثيرة متضاربة بشأن رأس «الحسين» رضى الله عنه، وربما كان مصدرها وجود مشاهد متعددة باسم الإمام «الحسين» فى الأقطار الإسلامية، مثل مشهد مَرْو، ومشهد حلب، ومشهد دمشق، ومشهد عسقلان، ومشهد القاهرة.

تاريخ إنشاء المشهد الحسينى بالقاهرة

من المعروف تاريخيًا أن الرأس الشريف ـ رأس سيدنا «الحسين» رضى الله

عنه ـ قد نُقل من مدينة عسقلان بفلسطين، فوصل إلى القاهرة سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ودُفن بسرداب فى قصر الزمرد الفاطمى، ثم نُقل إلى قبة المشهد الذى بُنى خصيصًا له فى سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، أى فى عهد الخليفة الفاطمى «الظافر بأمر الله»، وظل عناية الملوك والأمراء على مر العصور والأيام.

ولما تولى السلطان «صــلاح الدين الأيوبى» مُلك مــصــر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، أنشأ مدارس للمذاهب الأربعة، منها مدرسة بجوار مشهد «الحسين» كانت تسمى بالمشهد، وقرر بها مدرسين، وعهد بالإشراف عليها إلى الفقيه «البهائى الدمشقى»، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح، مما يؤكد أن المسجد الحالى قد حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب.

وللأسف، لم يبقَ من المشهد القديم إلا الباب المعروف بالباب الأخضر. وفى سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، بدأ «أبو القاسم يحيى» المعروف بـ«الزرزور» بإنشاء مئذنة فوق باب المشهد أتمها ابنه من بعده، وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب المعروف بالباب الأخضر، والباقى منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكاريتان.

ولقد مر المشهد الحسينى بالعديد من أعمال الإصلاح والتجديد، أهمها فى بداية القرن ١٢هـ/١٨م، حيث عُنى به الأمير «حسن كتخدا عزبان الجلفى»، فوسعه وزاد فيه، وصنع له تابوتًا من الأبنوس المطعم بالصدف والفضة.

وفى نهاية القرن ١٢هـ/١٨م، جدده الأمير «عبد الرحمن كتخدا»، وأثبت ذلك على عتب رخامى. وفى بداية القرن ١٣هـ/١٩م، حدثت به عمارات وزيادات على يد السيد «على أبى الأنوار».

وفى عهد «الخديوى إسماعيل»، فى سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، أمر بتجديده وزيادته، وتم بناء المسجد فى سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، والمئذنة سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وروعى فى التصميم الجديد ترك القبة على حالها، ونُقل إليه منبر جميل كان فى جامع «أزبك من ططخ» بالأزبكية.

ما بقى من المشهد القديم وعناصره المعمارية والزخرفية

ـ الباب الأخضر، وهو مبنىّ من الحجر، وعلى يساره دائرة مفرغة بزخارف، وتعلوه بقايا شرفة جميلة.

ـ كما تبقّى من المنارة الأيوبية التى أنشأها فوق هذا الباب «أبو القاسم الزرزور» الجزء الأسفل منها فقط، وهو المربع الذى يحتوى على زخارف جصية نادرة وتاريخ الإنشاء.

ـ أما التابوت الخشبى فهو أيوبى الطراز، ويعتبر تحفة فنية نادرة تمثل طراز الحفر على الخشب فى العصر الأيوبى بمصر، وهو محفوظ حاليًا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وقد نال هذا المسجد عناية ملحوظة فى أيام ثورة يوليو، فزيدت مساحته حتى بلغت هذه المساحة الكبيرة الحالية، وأضيف إلى المسجد مبنى مكون من طابقين خاص بإدارة المسجد، كما أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد على امتداد القبة والمصلى الخاص بالسيدات.

المخلفات النبوية

شُيدت غرفةٌ فى سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م خصيصًا لتحتوى على المخلفات النبوية. وهذه الحجرة مجاورة للقبة، وتشمل من الآثار النبوية الشريفة: قطعة من قميصه الشريف، ومكحلة، وجزءًا من العصا الشريفة، وشعرتين من اللحية الشريفة، وبها أيضًا مصحفان مكتوبان بالخط الكوفى.

قلعة «صلاح الدين»

تحتل قلعة «صلاح الدين» منذ إنشائها مكانة بارزة بين الآثار الإسلامية بما تحمله من خصائص معمارية ذات طابع حربى، فقد شُيدت لغرضين مهمين، أولهما: التحصين والحماية ضد الغارات الخارجية المتمثلة فى الصليبيين.

والغرض الثاني: التحصن والحماية ضد الغارات الداخلية المتمثلة في بقايا الفاطميين وأشياعهم.

وقد أنشئت هذه القلعة على ربوة من الجبل المقطم لتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة، وكان في موضعها قبة عُرفت باسم «قبة الهواء» هُدمت وحل محلها مقبرة حَوَتْ عدة مساجد، ثم أزيلت كلها لبناء هذه القلعة بأمر من «السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب»، وكان قد أقام على عمارتها وزيره «بهاء الدين قراقوش الأسدي» الذي شرع في البناء سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، كما بنى سور القاهرة الذي زاده، لذا فقد اضطر إلى هدم ما كان يَحُفُّهُ من المساجد وإزالة القبور، واستُخدمت حجارة بعض الأهرام الصغيرة بالجيزة في البناء، وظل العمل مستمرًا في بناء القلعة حتى توفي «صلاح الدين» قبل أن يتم بناؤها. ومن المؤكد أن الجزء الأكبر من القلعة الأيوبية كان قد تم في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، إلى أن تولى الملك «الكامل» ابن الملك «العادل» فأكمل بناء القلعة سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وأنشأ بها القصور، وزاد في مساحتها، وأحاط الزيادة بسور أقل حجمًا من السور الأول، ثم اتخذها مقرًا لمُلكه، واستمرت من بعده مركزًا للحكم ومقرًا للسلطنة حتى عهد «الخديوي إسماعيل».

ومما لا شك فيه أن قلعة «صلاح الدين» تعتبر من الأعمال المعمارية المعقدة، مما يجعلنا نذكر أهم ملامحها المعمارية بإيجاز. وهي تشتمل على ثلاثة أجزاء رئيسية، الأول: وهو الجزء الشمالي.. والثاني: وهو الجزء الجنوبي.. والجزء الثالث هو الذي يُدخل إليه بواسطة باب العزب.

الجزء الأول

وهو أولها وأقدمها، وهو القسم الشمالي من القلعة. ومن أهم معالمه القديمة: الباب المدرج، وهو ما زال قائمًا حتى الآن، ويقع إلى اليسار من الباب الجديد الذي شيده «محمد علي» ليكون مدخلاً رئيسيًا للقلعة. وفوق الباب المدرج نُقش نص تأسيس بالخط النسخي، يفيد بأن «صلاح الدين الأيوبي» هو

الذى أمر بإنشاء هذه القلعة على يد أميره ومعين دولته «قراقوش» فى سنة ٥٧٩هـ.

ويعتبر هذا النص هو الثانى من حيث الأقدمية بالنسبة للنصوص التى نُقشت بخط النسخ الأيوبى بعد الكتابات التى نُقشت على التابوت الخشبى للإمام «الشافعى» سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م.

ويُنسب إلى «صلاح الدين الأيوبى» بناء السور الذى تتخلله الأبراج نصف الدائرية، والذى يبدأ من الجانب الشرقى لبرج المقطم، ويمتد نحو الجنوب والشرق والشمال حتى ينعطف إلى الجزء الذى يشغله الآن المتحف الحربى بالقلعة. كما يُنسب إليه أيضًا البابان الخلفيان والجزء الداخلى من باب القرافة وباب المدرج.

الجزء الثانى

وهو الجزء الجنوبى من القلعة، وأهم ما يشتمل عليه ويرجع إلى العصر الأيوبى هى:

بئر «يوسف»

لقد كانت مياه النيل العذبة تصل إلى القلعة، فى عهد «صلاح الدين» وخلفائه من الأيوبيين، بواسطة قناة على ظهر سور «صلاح الدين» الممتد من الفسطاط إلى القلعة، وما زالت بعض بقاياه قائمة حتى اليوم. ولم تكن هذه القناة هى مصدر المياه الوحيد لساكنى القلعة، فمن بينها كانت بئر يوسف «الحلزونية»، ويرجع تاريخ حفر البئر إلى وقت بناء القلعة، عندما رأى «بهاء الدين قراقوش» ـ وزير «صلاح الدين» ـ أنه من الحكمة حفر هذه البئر فى الصخر لأخذ المياه منها وقت أى حصار للقلعة.

وتعتبر هذه البئر من عجائب البنيان، حيث إنها محفورة فى الصخر على

عمق حوالى تسعين متراً، ويُنزل إليها بنحو ثلثمائة درجة عبر سلم. وهى تتكون من طابقين، لكل منهما ساقية تُرفع المياه منها بواسطة الدواب التى خُصص لها منحدر لتسهيل النزول والصعود، وهناك فتحات جانبية لكى يصل النور إلى هذا الممر. ولا تزال توجد السواقى بمعداتها أسفل البئر حتى الآن.

ومما هو جدير بالذكر، أن مصادر المياه المجلوبة إلى القلعة قد نالت عناية واهتمام سكان القلعة من الملوك والسلاطين، ولا سيما «الناصر محمد بن قلاوون»، ومن بعده السلطان «الغورى» الذى بُنى فى عهده سور مجرى العيون عند فم الخليج، والذى امتد وتلاقى مع قناطر «صلاح الدين»، ومن ثم تلاقى مع قناطر «الناصر محمد بن قلاوون».

قبة ومسجد «الإمام الشافعى»

هو «الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى». وُلد سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، وهى السنة التى توفى فيها «الإمام أبو حنيفة». وأمه «فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن على» كرم الله وجهه.

وقد كان فقيراً، فلما أسلموه لمعلم الكُتّاب بمكة، كان يُعْرِض عنه لعدم قدرته على دفع الأجر، ولكن «الشافعى» الطفل كان يستوعب بَعقله الكبير كل ما يقوله المعلم للأطفال، فحفظ القرآن وسنه سبع سنين، وأفتى للناس فى الدين ودرّس لهم وسنه خمس عشرة سنة، وتفقه على «الإمام مالك»، وجاء مصر فدرّس بجامع «عمرو» حتى توفى سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، ودُفن بتربة أولاد «ابن عبد الحكم» بالقرافة الصغرى.

وقد ظلت هذه المقبرة موضع تكريم الزائرين، يقصدونها بالزيارة للتَّبَرُّك بهذا الإمام العظيم. وقد عُنى «صلاح الدين» بنشر المذهب الشافعى؛ لذا ففى سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م بنى تربة «الشافعى» رضى الله عنه، كما شرع فى نفس السنة فى بناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر «الشافعى»، وكانت تُعرف بتاج المدارس، وانتهى منها سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م.

وقد تعاقب على التدريس بها أئمة علماء المذهب حتى نهاية القرن ٩هـ/ ١٥م، وكانت موضع رعاية ملوك مصر وأمرائها، فقد جددها السلطان «قايتباى»، كما جددها الأمير «عبد الرحمن كتخدا» فى القرن ١٢هـ/١٨م، وأنشأ سبيلاً على يسار باب القبة لا تزال واجهته باقية حتى الآن هى والكسوة الرخامية للباب الخارجى للقبة بمصراعيه المغشيين بالفضة، كما جددها «الخديوى توفيق» فى بداية القرن ١٤هـ/ ٢٠م.

تابوت «الشافعى»

من حسن الحظ أنه بقى من عمارة «صلاح الدين» الأولى لقبر «الشافعى» تابوت فاخر من الخشب مستطيل الشكل، غطاؤه هرمى، ويحفل بالنقوش والكتابات الكوفية والنسخية.. وجميع وجوه هذا التابوت منقوش فيها أطباق نجمية وزخارف نباتية.

القبــــة

أنشأ هذه القبة السلطان الملك «الكامل محمد» سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م لـمّا دُفنت أمه هناك. وهى قبة كبيرة من أجمل القباب وأجملها بمصر. وهذه القبة خشبية ومكسوة بالرصاص، ولعلها أقدم قبة خشبية. وتلاصق مقصورة «الشافعى» مقصورة خشبية بسيطة حول قبر يقال إنه لأولاد «ابن عبد الحكم».

العَشارى فوق القبة

اشتُهرت قبة «الشافعى» بالعشارى فوقها، وهو مركب صغير مثبت فى هلال القبة.. وهذا المركب موضوع فى هلال القبة منذ إنشائه. وفى رأى البعض أن هذا المركب كان لوضع الماء والحبوب للطيور، كما استنتج البعض أن هذا المركب قد يكون رمزاً لعلم «الإمام الشافعى»، لأنه بحر العلوم.

المدرسة والقبة الصالحية

أنشأ «الملك الصالح نجم الدين أيوب» هذه المدرسة التى تقع بشارع «المعز لدين الله»، على رقعة أرض من القصر الفاطمى الكبير الشرقى كان بها باب من أبوابه يسمى «باب الزهومة». وكان البدء فى البناء سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، وكان الفراغ من إنشاء المدرسة سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م كما هو مدون أعلى الباب الذى بأسفل المئذنة.

الوصف المعمارى

تتكون هذه المدرسة من قسمين، تقسمهما حارة الصالحية التى يعلو مدخلها عقدان، ويحمل هذان العقدان المئذنة، ولم يبقَ من القسم الجنوبى غير واجهته، والجزء الشمالى ما زال باقيًا جهة الواجهة والإيوان الشرقى والغربى، ولم يبقَ من قبو الإيوان الشرقى غير بداية العقد.

والواجهة يبلغ طولها مائة متر، يتوسطها الباب الرئيسى. . وهى حافلة بالنقوش والكتابات، ويتوسطها باب تعلوه مئذنة، وقد نُقل الباب الخشبى إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة. ومادة الواجهة من الحجر المنحوت. وتعلو المئذنةُ المدخلَ التذكاريَّ للمدرسة، وهى تتكون من مربع مجوف من الآجر، وترتفع إلى حوالى ١٠,٤٠م، ويلى هذا المربع جزء على شكل مبخرة، به صفان من الكرانيش المكونة من أربعة صفوف من الدلايات، وفوق ذلك تأتى القبة المفصصة.

القبـــة

تقع فى الجهة الشمالية الغربية للمدرسة، وكان محلها قاعة لشيخ المالكية أنشأتها الملكة «شجر الدُّر» ليُدفن بها زوجها وسيدها «الملك الصالح نجم الدين

أيوب» . والقبة ذات شكل غير مألوف ، فهى على شكل عقد منكسر مفصص ، ومنطقة الانتقال عبارة عن صفوف من المقرنصات من الداخل ، أما من الخارج فهى تتكون من شكل سلم مدرج بعدة صفوف من المقرنصات .

أما الضريح فمربع تقريبًا ، وبه محراب كبير واسع زُخرف برخام الخردة وكتابات بخط النسخ ، وتُغَشِّى هذا المحراب الرخامى فسيفساء زجاجية ملونة . ويُعد استعمال الشبابيك النحاسية المفرغة فى سد النوافذ ، واستعمال الشبابيك الجصية المفرغة ، من الطرز المعمارية والزخرفية الجديدة والفريدة التى تطورت تطورًا كبيرًا فى العصر المملوكى فيما بعد .

الفصل الثانى

• القسم الأول

أهم الآثار الإسلامية من العصرين المملوكى والعثمانى

بشارع «المعز» (حى الجمالية)

• القسم الثانى

أهم الآثار الإسلامية من العصرين المملوكى والعثمانى

بشارع «المعز» (حيًا الأزهر والغورية)

• القسم الثالث

أهم الآثار الإسلامية بميدان «صلاح الدين»

• القسم الرابع

أهم الآثار الإسلامية بقلعة «صلاح الدين»

• القسم الخامس

أهم الآثار الإسلامية بشارع الدرب الأحمر (التبانة)

• القسم السادس

أهم الآثار الإسلامية بشارع الصليبة

• القسم السابع

أهم الآثار الإسلامية بمقابر المماليك

العمارة الإسلامية بمصر في عصر دولة المماليك البحرية

٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م

يحق لنا أن ننعت عصر المماليك البحرية بالعصر الذهبي. ولم لا يكون عصرًا ذهبيًا وقد ازدهرت فيه العمارة الإسلامية أيما ازدهار، وتنافس فيه الملوك والسلاطين والأمراء والأثرياء في تشييد المنشآت المعمارية الخيرية والمدنية؟ وإذا كان قد رُوى أنه في عهد «الوليد بن عبد الملك»، كان الناس إذا التقوا تساءلوا عن البناء والصُّناع، فقد كان الحال كذلك في عصر هذه الدولة التي أنشأ فيها الملك «الناصر محمد بن قلاوون» ديوانًا للأشغال.

وقد عمرت دولة المماليك البحرية بمصر زهاء ١٣٦ سنة، كانت الحالة فيها هادئة مستقرة، كما كانت مصر تنعم فيها برغد ورخاء، وقامت بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارثت الحكم، على رأسها «المنصور قلاوون». وفي عهد هذه الأسرة ظهرت في العمارة تأثيرات سورية، كما ظهر فيها بعض التأثيرات الفارسية والأندلسية، وهذه التأثيرات لم تكن عامة في جميع العمائر، بل كانت في بعضها، وخاصة في منشآت «المنصور قلاوون» وابنه «الناصر محمد بن قلاوون».

ولم تلبث العمارة في هذا العصر أن تمصرت وأخذت طابعًا خاصًا بها ميزها عن شتى العمائر، حيث تركزت قواعدها وترقت أبنيتها، وظهر تحسن كبير في القبة والمنارة، وتنوعت أشكالها، وتهذبت صناعة النجارة والتطعيم في الخشب، وظهرت صناعة جديدة هي تلوين الجص مع تغطيته بزجاج رقيق، كما

استُحدثت تأثيرات أندلسية فى صناعة الجص التى بلغت أوج ازدهارها، وأخرى فارسية على القباب والمنارات وبعض الزخارف، وظهرت لأول مرة كتابة التاريخ بالأرقام الهندية، وتسييج الخشب بالنحاس، وارتفعت صناعة الزجاج بالمينا، واتُّخذت منه مشكاوات لإضاءة المساجد، وشاع إنشاء الخانقاوات والربط، وظهرت بواكير الكساء بالقاشانى فى قمم المنارات ورقاب القباب، وظهر المنبر الرخامى بجوار المنبر الخشبى، وازدهرت صناعة الرخام، ووُجدت منه نماذج دقيقة جدًا، وانتشر إنشاء الحمامات العامة والفنادق والوكالات، واستُعمل الحجر فى بناء القباب والمنارات، وارتقى تصميم واجهات المساجد والمدارس، وانتشر الخط الكوفى المربع، وانتشرت الأبواب الخشبية المصفحة بالنحاس مع تنوع أشكالها وزخارفها، كما انتشرت الثريات النحاسية وارتقت صناعتها.

العمارة الإسلامية بمصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة

٧٨٤-٩٢٣هـ /١٣٨٣-١٥١٧م

إذا كنا قد أطلقنا على عصر العمارة فى دولة المماليك البحرية وَصْف العصر الذهبى، فجدير بهذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسى . .

فبعد أن تطورت العمارة فى دولة المماليك البحرية واستقرت، تم تمصيرها فى هذه الدولة، فاكتسبت زخارفَ ورسومًا مميزة، وغلب تصميم المدرسة على المسجد، وأصبحت المنارة أكثر رشاقة وأبهى جمالاً، كما حفلت القبة من خارجها بنقوش هندسية، ومن داخلها بزخارف نباتية، وأصبح الغالب فى بنائها الحجر بدل الطوب، أو الطوب والحجر معًا، حتى أصبحت مصر مدينة القباب والمنارات . . وزاد التقدم فى صناعة النجارة، وأدخل على تطعيمها نوع جديد هو الزرنشان .

أما صناعة الرخام، وإن كانت قد تقدمت تقدمًا عظيمًا فى عصر دولة المماليك البحرية، فإنها حافظت على تقدمها، وتخطى جمالها الوزرات إلى

الأرضيات، وكذلك ارتقت صناعة النجارة فى الأسقف، وتطورت المقرنصات وزخارفها، وشاعت الزخرفة فى الواجهات وفى صنج العقود الداخلية، وصَغُرَ حجم المدرسة دون أن تفقد شيئًا من مميزاتها الكثيرة، وغُطيت صحون المدارس بسقوف جميلة، وانتشرت القوالب الحجرية ونُقشت وطُعمت بالرخام.

وامتاز هذا العصر أيضًا بمميزات معمارية معينة، مثل تعدد المنارات والقباب فى مسجد واحد، وجَعْل السبيل والكُتّاب وحدة معمارية واحدة، كما كَثُرَ إنشاء الأحواض لشرب الحيوان.

ومع تقدم التفاصيل المعمارية تأخرت الزخارف الجصية، ولكنها عُوضت بتقدم بالغ فى صناعة الشبابيك وتوفيق فى اختيار ألوانها.

العمارة الإسلامية بمصر فى عصر الدولة العثمانية

٩٢٣-١٢١٣ هـ /١٥١٧-١٧٩٨ م

لقد كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة، ودخول مصر فى حوزة الدولة العثمانية، أثر كبير فى دخول كثير من العناصر الزخرفية الفنية فى كل من الفنون والعمارة الإسلامية، فما إن تم للسلطان «سليم» الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، حتى جمع مهندسيها وفنانيها وخيرة صناعها من بَنّائين ونجارين ومُرَخِّمين وأرسلهم إلى إستانبول. كما ذكر لنا مؤرخ هذا العصر «ابن إياس». وبذلك تغير النشاط الفنى والصناعى فى مصر إلى حد كبير.

وبسبب تولى ولاة أتراك نائبين عن السلطان فى الحكم، أدخلت على العمارة الإسلامية أساليب تركية جديدة لم تكن مألوفة بمصر، فقد أنشأ «سليمان باشا» مسجده بالقلعة سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، على طراز مساجد الأستانة؛ فهذا المسجد مكون من قبة كبيرة مكسوة بالقاشانى، أمامها صحن كبير مكشوف، تحيط به أروقة ذات قباب صغيرة كُسيت بالقاشانى أيضًا، إلا أن تفاصيله من رخام وشبابيك جصية ظلت متأثرة بالصناعات المصرية.

وتأثر به فى التصميم - مع اختلاف فى التفاصيل - مهندس مسجد «الملكة صفية» سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، وكان الحال كذلك فى مسجد «سنان باشا» ببولاق المنشأ سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، إلا أنه استبدل الصحن المكشوف بأروقة معقودة حول واجهاته الثلاث، ومثله مسجد «محمد بك أبى الذهب» المنشأ سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، مع اختلاف فى بعض التفاصيل.

كما وُجدت عدة تصميمات جديدة للمساجد، فمن مربع تتوسطه أربعة عُمُد تحمل السقف، إلى مستطيل أو مربع مكون من إيوانين أو رواقين تتوسطهما طرقة، إلى مساجد مثل المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف.

وقد أصاب التغيير مواد البناء والصناعة، فأصبحت المنارة والقبة ذات تصميم بسيط، وظهرت قباب هرمية فوق القبور، وأخرى محمولة على عُمُد رخامية، وندرت الزخارف الجصية فى كثير من الفنون.

ومع تغير هذه الفنون، فقد بقيت صناعة الرخام، وكذلك ظلت الزخارف فى الأسقف محتفظة بدقتها وجمالها، ومثلها صناعة كسوة الأبواب النحاسية، وفى كثير منها حل النحاس محل الفضة، ووُجدت عناصر جديدة للزخرفة، وهى كسوة الجدران والقباب والمحاريب بالقاشانى، وانتشر إنشاء الدور ذات المقاعد والفساقى والمشربيات الجميلة التى تجمّل كثيرًا من أحياء القاهرة التاريخية القديمة، كما انتشر إنشاء الوكالات وفوقها السبيل والكتاب.

وفى الوقت الذى نرى فيه هذا التنوع فى العمارة وتفاصيلها بمصر، ودخول عناصر جديدة فيها، نجد العمارة قد اتخذت طريقًا آخر مكملاً لعصر المماليك الجراكسة فى بلدان الوجهين البحرى والقبلى لا يمت بصلة إلى الطراز الذى كان سائدًا فى مصر ذلك الوقت، بل ظل يقتبس من طراز دولتى المماليك بشكل مبسط فى مواد البناء، مع المحافظة عليه وعلى جمال التناسب.. وفى بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والتفنن فى نقشه، ولا سيَّما فى رشيد التى امتازت منازلها بطراز خاص، كما انتشر الخط الكوفى المربعَ.

لقد استطاع «محمد على باشا» بحكمته وحسن سياسته أن يبعث فى مصر روحًا جديدًا وينهض بها فى سنوات معدودات، فشُقّت الترع، وأصلحت الجسور، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات. وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة فى مصر بما استقدمه من المختصّين الأجانب الذين لم ينتفع بعبقريتهم فحسب، بل انتفع بهم أيضًا فى إعداد طائفة من المصريين إعدادًا علميًا وعسكريًا راقيًا.

وكان لاستعانته بمهندسين وعمال أجانب وأروام أثر كبير فى إيجاد عناصر جديدة فى العمارة والزخرفة لم تكن موجودة، فقد استُحدثت تصميمات جديدة للقصور، كما وُجدت عناصر جديدة للزخرفة، ومُيِّزَت الواجهات بالكرانيش البارزة فى نهاياتها والشبابيك البيضاوية والعُمُد الرشيقة من الرخام، واتُّخذت الأبنية من الخشب والطوب، وقل استعمال الرخام الملون الدقيق وحل محله الرخام الأبيض والألبستر المستورد من محاجر بنى سويف، وانعدمت المشربيات وحلت محلها الشبابيك الحديثة، وشاع فَرْش طرقات الحدائق بالزلط الملون برسوم هندسية ونباتية.

هذا، وقد تأثرت المساجد المنشأة فى عصره بالطراز العثمانى، فمسجده الكبير بالقلعة أنشئ على مثال مسجد «السلطان أحمد» بالأستانة.

وتقدمت فى هذا العصر صناعة النحاس، وخاصة فى الشبابيك والمقاصير المصبوبة، وظهرت فيه زخارف تمثل زهورًا وعناقيد عنب وستائر ومناظر طبيعية، وهذا النوع من الزخرفة شاع فى تركيا فى القرن ١٢هـ/١٩م، ويعرف عند الفنيين باسم (روكوكو Rococo)، وقد دخل إليها بعد انتشاره فى أوربا على أيدى فنانين من جنوب إيطاليا وصقلية، غير أن الفنان التركى لم يقبله بحالته، بل هذبه حسب ذوقه المحلى مراعاةً للتقاليد الإسلامية.

وقد تبين أن العمال الذين قاموا بأعمال النقش فى قصور «محمد على» كانوا أتراكًا وأجانب ممن اشتغلوا فى إستانبول وتأثروا بالفن التركى وتقاليده.

وشاع فى عصر «محمد على باشا» وأسرته إنشاء نوع جديد من الأسبلة المكسوّة جدرانها بالرخام ذى الزخارف النباتية والكتابات الخطية بأنامل كبار الخطاطين، مما ساعد على وجود طائفة من نوابغ الخطاطين الأتراك الذين نهضوا بهذا الفن ووضعوا قواعده بمصر، كما شاعت تغطية القباب والمظلات وقمم المنارات بالرصاص.

كذلك استعان «محمد على» بمهندسين فرنسيين لإنشاء المصانع والحصون والقصور تتلمذت عليهم مجموعة كبيرة من المصريين.

القسم الأول

أهم الآثار الإسلامية من العصرين المملوكى والعثمانى
بشارع «المعز» (حى الجمالية)

مدرسة وضريح «المنصور قلاوون»

المنصور قلاوون

هو «السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى» ـ لأنه اشتُرى بألف دينار ـ الصالحى، أحد مماليك الأتراك البحرية. اشتراه الأمير «علاء الدين آق سنقر الساقى» بألف دينار، ثم امتلكه «الصالح نجم الدين» سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، فجعله من المماليك البحرية، وترقى من بعد فى الوظائف حتى عُين أتابك العسكر.

وفى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م عُين ملكًا على مصر، ولُقب بالملك المنصور، فكان عصره عصر رخاء ورفاهية، انتعشت فيه الفنون وازدهرت العمارة. وتوفى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، بعد أن حكم إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر، ودُفن فى ضريحه الذى أنشأه فى شارع بين القصرين (المعز لدين الله). . وقد أقيمت هذه المجموعة على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى.

وقد غلب اسم البيمارستان على هذه المجموعة لأنه السبب فى إنشائها؛ إذ إن «المنصور قلاوون» وقت أن كان أميرًا سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، أصابه وهو بدمشق مرض، فعولج بأدوية أخذت له من بيمارستان «نور الدين»، وبعد شفائه من مرضه زار البيمارستان، فأعجب به، ونذر إن آتاه الله مُلْك مصر أن يبنى بها بيمارستانًا.

فلما وَلِىَ المُلْك، شرع فى الوفاء بنذره، ووقع اختياره على تلك الرقعة من الأرض لإنشاء بيمارستان ومدرسة وضريح، وعهد إلى الأمير «علم الدين سنجر الشجاعى» بالإشراف على هذه المنشآت، فقد كان خبيرًا بالعمارة.

وكان البدء فى هذه العمارة فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٣م. وكان الفراغ منها فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤م، أى أن القبة والمدرسة والبيمارستان استغرق بناؤها ١٤ شهرًا كما هو منقوش على عتب المدخل الرئيسى بما نصه:

(أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة، والمدرسة المباركة، والبيمارستان المبارك، مولانا السلطان الأعظم، الملك المنصور - سيف الدنيا والدين - قلاوون الصالحى. وكان ابتداء عمارة ذلك فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، والفراغ منه فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وستمائة).

كما نُقش على بقية المجموعة تاريخ البدء والفراغ من البناء، ولكن عظم مساحة هذه المجموعة وكثرة زخارفها ودقتها جعلت الكثير يتشكك.

وخلاصة هذه الروايات، أن هذه المجموعة تمت بناءً وترخيمًا وزخرفةً فى أول سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وتكون بذلك قد استغرقت سبع سنين وثمانية أشهر، وهى المدة المعقولة لبناء هذه المجموعة الشامخة الحافلة بمختلف فنون العمارة الدقيقة.

الوصف المعمارى للمدرسة والقبة

لقد اشتملت واجهة هذه المجموعة على عقود محمولة على عُمُد رخامية، وبداخل تلك العقود شبابيك مفرغة بأشكال هندسية، وبها إفريز منقوش به اسم المنشئ وألقابه وتاريخ الإنشاء، وتنتهى من أعلاها بشرفة مسننة حُلِّى وجهُها بزخارف، وهى واجهة ذات تأثّرات سورية.

المدرسة

يؤدى الباب الرئيسى بالواجهة الشرقية من هذه المنشأة المعمارية إلى ممر أو دهليز طويل له سقف خشبى جميل يحتوى على بابين على اليمين يؤديان إلى القبة، ويقابلهما بابان يؤديان إلى المدرسة.

وتتكون المدرسة من صحن مكشوف مستطيل الشكل تتوسطه فسقية، وتتعامد عليه الإيوانات من جهاته الأربع، ويتقدمه عقد كبير يتوسطه عمودان يقسمانه إلى ثلاثة أعمدة تقسم الإيوان إلى ثلاثة أروقة عمودية على حائط القبلة، الأوسط منها أوسعها.

وهذا الإيوان فريد في نوعه، ومن ثم فقد أطلق على هذه المدرسة (المدرسة الجامع)؛ حيث إنها تجمع بين تخطيط الجوامع وتخطيط المدرسة.

ويكتنف الإيوان محرابًا.. طاقيته وتواشيحه من الفسيفساء المذهبة.. يجاوره منبر بسيط من عمل الأمير «أزبك من ططخ» سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م أثناء عمارته للمدرسة، وكان قد أقام قبة أعلى الفسقية التي كانت بالصحن. وقد ألحق «الناصر محمد بن قلاوون» بواجهة المدرسة سبيلاً وكتابًا سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م على روح والده. وتعلو السبيل قبة صغيرة كُسيت رقبتها ببلاطات من القاشاني عليها كتابات قرآنية غاية في الإبداع.

ومما هو جدير بالذكر، أن هذا الإيوان الشرقي كان قد خُرِّب وأعادته إدارة لجنة حفظ الآثار العربية فيما بين سنتيْ ١٩١٦ و١٩١٩م، أما الإيوان الغربي فقد تخرب وضاعت معالمه، وهو أمر يؤسَف له بشدة!.. وقد استغرق بناء هذه المدرسة على سعتها أربعة أشهر، كما هو مدون على أعتاب شبابيك المدرسة وأعلى المحراب.

القبــة

في الحقيقة أن تصميم هذه القبة غريب بالنسبة للقباب غيرها بمصر، لكنه مقتبس إلى حد ما من تصميم قبة الصخرة بالقدس الشريف.

ويؤدي إلى القبة بابان، أحدهما أغلقه الأمير «عبد الرحمن كتخدا»، وكان يؤدي إليها مباشرة.. والثاني - وهو من الدهليز أيضًا - يوصل إلى مساحة مربعة تتقدم القبة، يتوسطها صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة. ويُدخل إلى القبة

من الضلع الشرقى، وهى تعلو التربة التى دُفن فيها «المنصور قلاوون» وابنه «الناصر محمد».

والقبة تحتوى على أربع أكتاف مربعة الشكل، ويتوسط هذه الأكتاف أربعة أزواج مذهبة من الأعمدة الجرانيتية، وتحمل ثمانية عقود رقبة القبة المرممة حديثًا، ويحيط بها السقف الخشبى المذهب.. وقد كُسيت جدران القبة بالرخام المطعم بالصدف، وهو من أدق أعمال الرخام بالآثار الإسلامية بمصر، إذ نُقش بعضها على هيئة رسوم هندسية، وبعضها الآخر كُتب به بالكوفى المربع «محمد» مكررة اثنتى عشرة مرة.

أما المحراب فهو أكبر وأفخم محراب فى آثار مصر، ويكتنف كلاً من جانبيه عُمُدٌ رخامية، وبتجويفه أربع طبقات من تجاويف محارية مذهبة محمولة على عمد رشيقة، وباقيه من الرخام والصدف الدقيق.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن هذه القبة من أرضيتها حتى قمتها لا ترى إلا لونًا زاهيًا، وتذهيبًا براقًا، وزجاجًا ملونًا بالشبابيك، وعقودًا محلاة بزخارف جصية مورقة، وبوسط المثمن قبر عليه بقايا تابوت من الخشب المنقوش والمكتوب بالخطين الكوفى والنسخى. وقد دُفن بهذا القبر «المنصور قلاوون»، وابنه «الناصر محمد»، وابنه «عماد الدين». وفى العصر العثمانى سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، أقام أحد نُظّاره شاهدين رخاميين، على أحدهما عمامة عثمانية بها ريشة مذهبة، وعلى الآخر أبيات من الشعر.

وقد أحيط هذا المثمن بمقصورة خشبية زُخرفت بنقوش وكتابات أمر بعملها «الناصر محمد بن قلاوون».

المئـــذنة

وتقع على الطرف البحرى للواجهة الرئيسية لمجموعة «قلاوون»، وهى تتكون من ثلاثة أدوار، الأسفل والأوسط منها مربعان، فُتحت بهما شبابيك تنوعت عقودها، وبها إفريز مكتوب به اسم المنشئ وألقابه وتاريخ

الإنشاء، وتنتهي من أعلاها بشرفة مسننة حُلِّيَ وجهُها بزخارف، والدور الثالث مستدير ينتهي بخوذة ليست منها، حيث أنشأها «الناصر محمد بن قلاوون» سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، على أثر سقوطها في زلزال سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م.

البيمارستان

لقد كان الدافع الأول لإنشاء هذه المجموعة هو البيمارستان، لذا كان البدء به في سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. وكان هذا البيمارستان يشغل قاعة «ست الملك» من القصر الفاطمي الغربي، وكان ذا أربعة إيوانات، بكل إيوان سلسبيل شاذروان، وتتوسطه فسقية يصير إليها الماء من هذا السلسبيل، ومثل هذه الفكرة موجودة بقصر الحمراء بالأندلس. وقد عثرت إدارة لجنة حفظ الآثار العربية بالبيمارستان على أجزاء من سقوف خشبية بها رسوم طيور وحيوانات، وبها بقايا كتابات كوفية، ومن المرجح أن هذه الألواح الخشبية منقولة من القصر الفاطمي الصغير.

وقد وصف المؤرخون هذا البيمارستان بأنه كان كاملاً، وأنه كان مدرسة للطب ذات صيدلية كاملة، وأنه خُصص لمعالجة جميع الأمراض. . ولكنه الآن دب إليه الانحلال، واقتصر على معالجة أمراض العيون.

وفي سنة ١٩١٥م، أقامت وزارة الأوقاف بقسم من البيمارستان مستشفى لعلاج أمراض العيون هو الباقي حتى الآن من البيمارستان الأصلي القديم.

ومما هو جدير بالإشارة، أن هذه المجموعة المعمارية المهمة تحتل مكانة بارزة بين الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، ومن ثم توالت عليها يد الإصلاح والترميم من أيام لجنة حفظ الآثار العربية، وهيئة الآثار المصرية، وحتى المجلس الأعلى للآثار حاليًا.

مدرسة «الناصر محمد بن قلاوون»

تقع بشارع «المعز لدين الله»، وهي ملاصقة لقبة والده السلطان «المنصور قلاوون»، وترجع بداية إنشائها إلى السلطان الملك «العادل زين الدين كتبغا المنصوري». وهو أحد مماليك «المنصور قلاوون»، وقد جلس على كرسي السلطنة سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، فثار عليه «حسام الدين لاچين»، واستولى منه على الـمُلك سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م. الذي ولي مصر سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، بعد عزل «الناصر محمد بن قلاوون» من ولايته الأولى، وارتفع بنائها إلى الطراز المنقوش بواجهتها، وذلك في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، ثم خُلع من الـمُلك قبل إتمامها.

ولما عاد السلطان الملك «الناصر محمد بن قلاوون» للـمُلك مرة ثانية سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، اشترى هذه المدرسة وبنى بها قبة جليلة كان الفراغ منها سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، وعين بها المدرسين للمذاهب الأربعة، وألحق بها مكتبة عامرة بالكتب الدينية والدنيوية، ثم نقل إلى القبة رفات والدته، ودفن بها أيضًا ابنه «أنوك» سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، هذا على حين دُفن «الناصر محمد بن قلاوون» بعد وفاته بتربة والده «المنصور قلاوون» المجاورة.

ويصف «المقريزي» في خططه هذه المدرسة بأنها أجمل المباني بالقاهرة، وبابها عجيب. وهذه المدرسة وإن كان التخريب قد أضاع كثيرًا من رونقها، إلا أن بقاياها لا تزال على ما كانت عليه من روعة وجمال.

الوصف المعماري

تمتاز هذه المدرسة بمدخل رخامي فريد في نوعه، وهو المدخل القوطي الطراز، والذي نُقل من كنيسة «سان جان» بعكا، حيث أحضره إلى مصر الأمير «علم الدين سنجر الشجاعي» عندما فُتحت عكا في عهد الملك «الأشرف خليل بن قلاوون» سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م. وتعلو الباب مئذنة ذات زخارف جصية بديعة ودقيقة.

ويوجد بداخل القبة المقامة على المقرنصات طراز من الخشب المنقوش بحيط بجدرانها . . وبين القبة والمدرسة دهليز ذو سقف من الخشب المزين بزخارف مذهبة ومتعددة الألوان .

وقد تم بهذه المنشأة الكثير من الإصلاحات والترميمات من قبل لجنة حفظ الآثار العربية وهيئة الآثار المصرية ثم المجلس الأعلى للآثار حاليًا ؛ وذلك لما لهذا الأثر النفيس من الأهمية فى عداد آثار دولة المماليك البحرية بمدينة القاهرة .

مدرسة وخانقاه «الظاهر برقوق»

الظاهر برقوق

هو الملك «الظاهر برقوق بن أنس»، أول ملوك المماليك الجراكسة . كان مملوكًا للأمير «يلبغا الكبير»، وقد سماه برقوقًا لنتوء فى عينيه، فأعتقه وعينه فى كثير من الوظائف، إلى أن حالفه الحظ، وتم له أمر مُلْك مصر سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وبقى به إلى أن توفى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م، ودُفن بالصحراء مع مجموعة من العلماء والصالحين بناءً على وصيته التى نفذها ابنه «الناصر فرج».

تاريخ إنشاء المدرسة

تعد هذه المدرسة أولى المنشآت المعمارية فى دولة المماليك الجراكسة . وقد كان موضعها فندقًا يُعرف بخان الزكاة، كان مملوكًا لورثة «الناصر محمد ابن قلاوون»، فاشتراه منهم، وعهد إلى الأمير «جركس الخليلى»، والمهندس فعلَم المعلمين «شهاب الدين أحمد بن الطولونى»، بالإشراف على البناء .

وتقع هذه المدرسة ملاصقة لمدرسة «الناصر محمد بن قلاوون» من الجهة الشمالية . وكان الشروع فى البناء سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، والفراغ منه سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م .

وصف المدرسة

الواجهة الرئيسية هى الواجهة الجنوبية الشرقية. وتتوسط هذه الواجهة شبابيك نحاسية غُطيت بمصاريع خشبية ذات حشوات مجمعة بأشكال هندسية بديعة. وتتوّج الواجهة كتابة بخط النسخ المملوكى باسم المنشئ وألقابه وتاريخ الفراغ من العمارة. أما الباب الرئيسى، فذو مصراعين من الخشب المصفح بالنحاس والمفرغ بنقوش دقيقة ومكفت بالفضة، وقد كُتب عليه أيضًا اسم المنشئ وألقابه وتاريخ سنة ٧٨٨هـ؛ أى تاريخ الفراغ من البناء. . وهو من أنفس المصاريع النحاسية شبهًا بمصراعى باب جامع «السلطان حسن» الموجود الآن بجامع «المؤيد».

ويؤدى هذا الباب إلى طرقة مربعة مغطاة بقبة صغيرة مثمنة الأضلاع مُلَبَّسَة بالحجر الأحمر والأبيض، وعلى يمينها باب يوصل إلى طرقة (دهليز) طويلة فُرشت أرضها بالرخام الملون، تؤدى إلى صحن المدرسة، وقد أحطيت به أربعة أبواب صُفحت بالنحاس، وحُليت أعتابها بالرخام الملبس بالحجر، ويعلو كلَّ باب شباكٌ صغيرٌ من النحاس المفرغ بأشكال هندسية. . وتعد هذه الشبابيك الصغيرة النموذج الثالث لهذا النوع من الشبابيك ذات النحاس المصبوب، إذ يوجد النموذج الأول بقبة «الصالح نجم الدين»، والثانى بالمدرسة الطيبرسية بالأزهر.

وقد صُممت المدرسة على نظام المدارس، فهى تتكون من صحن مكشوف تتعامد عليه الإيوانات الأربعة، أكبرها إيوان القبلة. ومما هو جدير بالذكر، أن المهندس «ابن الطولونى»، قسم الإيوان الجنوبى الشرقى - وهو إيوان القبلة - إلى ثلاثة أروقة، أكبرها أوسطها. . يفصله عنهما صفان من الأعمدة ذات التيجان الضخمة.

أما المحراب فتكسوه الوزرات الرخامية مختلفة الأشكال والألوان، وهو مُحَلّى بصفوف من الصدف. والمنبر الحالى يوجد بجوار المحراب، وهو من أعمال السلطان «محمد أبى سعيد جقمق». ودكة المبلغ توجد بطرف الإيوان، وهى من الرخام. وكرسى المصحف من الخشب المطعم بحشوات من السن، ويوجد بنفس الإيوان.

أما الإيوانات الثلاثة الباقية فكلها مغطاة بسقوف معقودة، أكبرها إيوان القبلة (الشمالى الغربى)، وقد بُنى قَبْوُهُ بمداميك من الحجر المشهر (الأبيض والأحمر) على شكل دلايات. ويكتنف هذا الإيوان بابان يؤدّيان إلى بقايا الخانقاه التى كانت ملحقة بالمدرسة. وأرضية الصحن مفروشة بترابيع من الرخام الأبيض، وفى وسط الصحن فسقية تعلوها قبة خشبية جددتها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م مكان القديمة، تستند على ثمانية أعمدة رخامية رفيعة، وبرقبة دائرة القبة شريط كتابى بخط النسخ لآيات قرآنية تنتهى بتاريخ الفراغ من إنشاء المدرسة سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م.

ويقع الضريح إلى جوار إيوان القبلة، ويطل على الواجهة الرئيسية للمدرسة. وتتوسط هذا الضريح تركيبة رخامية مربعة تنتهى بأربعة شواهد قبور ذات رءوس رمانية الشكل. ويتوسط الضلع الشرقى من حجرة الضريح محراب مجوف، أما منطقة انتقال قبة الضريح - التى دُفن فيها والد المنشئ وأولاده و«فاطمة أم خُوَنْد» و«خُوَنْد شيرين» زوجته - فتشغلها سبعة صفوف من الدلايات الخشبية المذهبة، تقوم فوقها قبة ذات قطاع مدبب مجددة سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م على نمط القديمة.

أما المئذنة: فتقع بالطرف الشرقى. وهى عظيمة ضخمة، مكونة من ثلاث دورات، وقد امتازت بتلبيس الرخام فى بدن دورتها الثانية، وهو أقدم نماذج تلبيس الرخام فى بدن مآذن مصر.

هذا، وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بأعمال ترميم وتجديد جليلة فى هذه المدرسة.

قصر «بشتاك»

هـذا القصر يقابل مدرسة «برقوق» والمدرسة الكاملية بشارع «المعز لدين الله».

وقد سُمى هذا الشارع «بين القصرين» فى عصر الدولة الفاطمية، حيث كان ميدانًا فسيحًا يفصل بين القصر الفاطمى الكبير الشرقى والقصر الفاطمى الصغير الغربى. وعند مجىء «صلاح الدين الأيوبى» وقضائه على الفاطميين، أباح لأمرائه وخواصه سكنى قصورهم، وكذلك فَعَل مَن جاء بعده، حتى مُحيت هذه القصور من الوجود. أما الميدان فلا يزال محتفظًا باسمه القديم «بين القصرين».

ويتوصل إلى هذا القصر من باب حديث فى درب قرمز.

أنشأ هذا القصر الأمير «سيف الدين بشتاك الناصرى» - من أمراء السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» - سنة ٧٣٥ - ٧٤٠هـ/ ١٣٣٤ - ١٣٣٩م، على جزء من أرض القصر الكبير الشرقى. وبالرغم من حالة الإهمال والاندثار التى عليها القصر الآن، إلا أن البقية الباقية منه تنبئ بما كان عليه القصر من فخامة وجمال، كما جاء فى وصف «المقريزى».

وصف القصر حاليًا

تقع الواجهة الغربية الرئيسية لهذا القصر على شارع «المعز لدين الله»، فى حين تطل الواجهة الشمالية على درب قرمز. والمدخل الأصلى للقصر مسدود حاليًا. ويقع بجواره بيت القاضى. ويوجد المدخل الحالى بالجهة الغربية، وهو عبارة عن عقد مركب من ثلاثة عقود متداخلة، على جانبيه مكسلتان من الحجر بارتفاع متر. ويؤدى المدخل إلى دركاه، على جانبيها فتحتا باب: اليسرى منهما تؤدى إلى دهليز مُقَبى يؤدى إلى الإسطبل، وسقفه عبارة عن أقبية متقاطعة. أما القاعة الرئيسية فيتقدمها سطح مكشوف، على يساره حجرة تؤدى إلى القاعة الرئيسية التى تتكون من درقاعة تتعامد عليها أربعة إيوانات، وسقفها خشبى تزخرفه قطع خشبية تتدلى من أركانه. ويوجد أسفل السقف، وبكل جدار من جدرانه الأربعة، ثلاثة شبابيك جصية ذات زجاج ملون للإضاءة، كما توجد بوسط الدرقاعة فسقية من الرخام الملون.

وتطل على الدرقاعة والفسقية «أغاني»، وهى عبارة عن مشربيات من خشب الخرط الدقيق كان يجلس من خلفها الحريم للمشاركة فى احتفالات القصر.

سبيل وكتاب «عبد الرحمن كتخدا»

يقع هذا السبيل بشارع «المعز لدين الله» (وتحديداً فى شارع التمبكشية بالجمالية). أنشأه الأمير «عبد الرحمن كتخدا بن حسن جاويش» سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. ويعد هذا السبيل ذا أهمية خاصة، إذ إنه يكوّن مجموعة مستقلة يتمثل فيها العديد من روائع الفن الإسلامى فى العصر العثمانى، حيث إنه ملحق بمنزل وحوانيت، ويعلوه كُتّاب لتحفيظ الأطفال القرآن.

الوصف المعمارى

للسبيل ثلاث واجهات، بها ثلاث فتحات عقودها من الرخام الملون، وُضعت عليها شبابيك نحاسية جميلة، ويعلو السبيلَ كُتّابٌ ذو مظلات خشبية، وبحجرة السبيل رسم لصورة الكعبة الشريفة على بلاطات خزفية (قاشانى).

ومدخل السبيل يقع بشارع التمبكشية، ومنه يصل الداخل إلى ردهة صغيرة، تقع إلى يسارها غرفة السبيل، وإلى يمينها غرفة صغيرة بها فوهة الصهريج، ويقابل المدخل دَرَج يصل إلى الطابق العلوى المتمثل فى الكُتّاب. والواجهة الخارجية مكونة من ثلاث أضلاع بها ثلاثة شبابيك ذات فتحات كبيرة مغطاة بالنحاس، وهى عبارة عن عقود مستديرة ومرتكزة على أعمدة من الرخام حلزونية الشكل. وحائط الواجهة الخارجية مكون من مداميك حجرية متداخلة ومُعَشَّقَة مُحَلاَّة بزخارف هندسية، أما العقود فمزخرفة بزخارف نباتية. وتعلو عتب المدخل فتحة مستطيلة زُخرفت من جهتيها بشجرتى سرو.

وغرفة السبيل آية من آيات الفن الإسلامى، فجدرانها مغشاة ببلاطات من القاشانى الملون المزخرف بزخارف نباتية، وسقف غرفة السبيل من الخشب

المزخرف بأشكال نجمية ذات طرز مملوكية، وفى الأركان زخرفة على هيئة أشكال مشعة.

أما غرفة الكُتاب التى تعلو السبيل فسقفها محمول على ستة عقود حجرية مدببة ترتكز على أعمدة من الرخام، وتبرز من الغرفة شرفة ذات أعمدة مستواها أعلى من أرضية الغرفة، وهى محاطة بعقود مستديرة ومرتكزة على أعمدة رفيعة من الخشب، ولها درابزين من خشب الخرط الجميل. . وتحمل الشرفةَ من الخارج كوابيلُ من المقرنصات.

بيت «السحيمى»

يقع بشارع الدرب الأصفر فى حى الجمالية. وقد بُنى هذا البيت فى العصر العثمانى، ويتكون من قسمين: الأول - وهو الجنوبى - أنشأه الشيخ «عبد الوهاب الطبلاوى» سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م، والثانى - وهو القسم الشمالى - أنشأه الحاج «إسماعيل بن شلبى» سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م وجعل من القسمين بيتًا واحدًا. وسُمى بيت «السحيمى» نسبة إلى آخر من سكن به، وهو الشيخ «أمين السحيمى» شيخ رواق الأتراك بالجامع الأزهر، والمتوفى سنة ١٩٢٨م.

ويشتمل بيت «السحيمى» على قاعات، يتألف كل منها من إيوانين بينهما درقاعة، وبعضها ذات واجهات من خشب الخرط تشرف على الحديقة فى وسط البيت. وببعض القاعات فسقية من الرخام، كما أن ببعض أسقف القاعات مناور تعلوها «شخشيخة»، وفى القسم الشمالى من البيت حجرة مُركّبة على «تختبوش» محمول على عمود من الرخام.

وقد كُسيت جدران بعض القاعات من أسفل بوزرات من الخشب المزخرف على هيئة بلاطات القاشانى، وأحيانًا كانت الجدران تزين بالقاشانى، أما الأرضيات فقد فُرشت بالرخام. ويشتمل البيت كذلك على حمّام وسلالم تصل بين الطوابق. وبأحد أركان الحديقة طاحونة وساقية.

ويعتبر هذا البيت من أجمل آثار القاهرة بما يشتمل عليه من عناصر معمارية وكتابات أثرية تحتوى على تاريخ إنشائه وتجديده. وقد حُوِّل إلى متحف يضم مجموعة من التحف الفنية الإسلامية، من أهمها أوان خزفية عثمانية من صناعة كوتاهية بآسيا الصغرى.

جامع «سليمان أغا السلحدار»

يقع بشارع «المعز لدين الله» فى منطقة «مَرْجُوش» (أمير الجيوش) عند مدخل حارة برجوان. أنشأه الأمير «سليمان أغا السلحدار»، وكان البدء فى بناء الجامع والسبيل الملحق به فى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، والفراغ منهما سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، كما هو مسجل فى لوحتين تاريخيتين فوق السبيل وباب المسجد مكتوبتين باللغة التركية، وتحويان اسم المنشئ ووظيفته.

والأمير «سليمان أغا السلحدار» هو أحد أمراء «محمد على باشا»، وقد أخذ يترقى فى الوظائف حتى وصل إلى وظيفة (سلحدار)؛ أى أمير لواء السلاح فى عهد «محمد على باشا». ولهذا الأمير العديد من المنشآت المعمارية التى لا تزال باقية، مثل: وكالة خان الخليلى، ووكالة أخرى بجوار خانقاه «بيبرس الجاشنكير» بالجمالية، والمسجد الأحمر بشارع الجامع الأحمر، ثم مسجده هذا.

الوصف المعمارى

تقع واجهة هذا المسجد الجامع فى الجانب الغربى له، وبهذا الجانب المدخل الرئيسى الذى يؤدى إلى الصحن (الحرم) الذى يُصْعَد إليه بدَرَج صغير، وفى هذه الواجهة توجد معظم مداخل المسجد الجامع والمبانى الملحقة به من سبيل مستدير مكسو بالرخام المنقوش المذهب، وبه أربعة شبابيك نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية. وباب الجامع مغشى بالرخام، كما أن عقده المدائنى مُحَلّى بزخارف

نباتية وكتابية مذهبة، جاء فيها قوله تعالى: ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ ١٢٥٥هـ. كما سجلت الواجهة الغربية للمسجد وملحقاته تاريخًا مفصلاً للمسجد، حيث تحمل اسم المنشئ ووظيفته، وتاريخ البدء والانتهاء من البناء.

ويعد هذا المسجد الجامع من المساجد المعلقة، إذ استُغل الطابق السفلى له فى بناء حوانيت يُصرف ريعها على الجامع، خاصة وأن الجامع يقع فى منطقة تجارية هى الجمالية وسوق الليمون، كما أنه قريب من باب الفتوح، وهذه عادة انتشرت فى العصر العثمانى.

ويتكون الجامع من شكل مستطيل ينقسم إلى مربعين: المربع الغربى منهما يشتمل على الصحن (الحرم)، وتحيط الأروقة بالصحن من جهاته الأربع، وتغطيها قباب ضحلة صغيرة ترتكز على أعمدة رخامية. ويغطى الصحنَ سقفٌ خشبىٌ فُتحت فى وسطه «شخشيخة» للتهوية والإضاءة، وكذلك لحماية المسجد من أمطار الشتاء.

ويشتمل المربع الشرقى على بيت الصلاة، ويتكون من بائكتين، تشتمل كلٌ منهما على عمودين من الرخام ترتكز عليهما عقود مستديرة، وتقسم البائكتان مكان الصلاة إلى ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة، ويغطى بيت الصلاة سقف خشبى تزينه نقوش مدهونة بألوان زيتية جميلة.

ويتوسط جدار القبلة محراب من الرخام يعتبر فريداً فى نوعه، حيث إن الجزء المجوف منه يتكون من قطعة واحدة من الرخام، وكذا طاقيته. ويجاور المحراب منبر خشبى تعلو بابه قبة صغيرة لطيفة خالية من أية زخارف، أما دكة المبلغ فتوجد فى مواجهة حائط القبلة، وهى من خشب الخرط.

والمئذنة من طراز المساجد العثمانية، فبدنها أسطوانى الشكل يتكون من دورتين تفصل بينهما شرفة، ويعلو الطابق الثانى الشكلُ المخروطىُ (رأس قلم الرصاص). وتقع هذه المئذنة فى الواجهة الرئيسية بجوار باب المسجد.

ومما هو جدير بالذكر، أن لجنة حفظ الآثار العربية قد أولت هذا الجامع بعض أعمال الإصلاح.

خانقاه «بيبرس الجاشنكير»

تقع هذه الخانقاه حاليًا بحى الجمالية، وقد كان موقعها جزءاً من أرض دار الوزارة الكبرى الفاطمية التى أنشأها الوزير الفاطمى «الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى».

وقد بدأ فى إنشائها الأمير «بيبرس الجاشنكير» (وهى وظيفة الأمير القائم على تذوق الأطعمة والمشروبات قبل تقديمها إلى السلطان للتحقق من سلامتها) فى سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م قبل أن يلى السلطنة، وتم بناؤها فى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م.

بيبرس الجاشنكير

هو السلطان الملك المظفر «ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الجاشنكير». كان مملوكًا للسلطان «المنصور قلاوون»، وظل ينتقل فى الوظائف إلى أن عُين جاشنكيراً ثم أستاداراً (وهو الأمير المشرف على الشئون الخاصة بالملك؛ أى بمثابة ناظر الخاصة). وأثناء سلطنة «الناصر محمد بن قلاوون» الثانية، وتنازله عن الـمُلْك، استقر رأى الأمراء على تولية «بيبرس الجاشنكير» مُلك مصر، ولُقب بالملك المظفر سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م. وفى أول شوال سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م، قدم «الناصر محمد بن قلاوون» واستولى على مُلك مصر للمرة الثانية، فقُبض على «بيبرس الجاشنكير»، وقُتل فى منتصف ذى القعدة سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م، ودُفن فى قبة هذه الخانقاه.

وقد أنشأ الأمير «بيبرس» بجانب الخانقاه رباطًا كبيرًا يتوصل إليه من داخلها، وألحق به قبة كبيرة، وعندما انتهى البناء قرر بها حوالى ٤٠٠ صوفى، وبالرباط ١٠٠ جندى، وبعض الأفراد الذين أخنى عليهم الدهر.

الوصف المعمارى

تتكون الخانقاه من صحن مستطيل التخطيط، يوجد فى جانبين متقابلين منه إيوانان كبيران معقودان، أحدهما إيوان القبلة، أما خلاوى الصوفية فتوجد على الجانبين الآخرين بعضها فوق بعض، وزُخرفت أعتابها بمقرنصات وعقود ذات أشكال متنوعة، وانفردت بنوع غريب من العقود يكتنف فتحتى الإيوانين الشرقى والغربى، وفى وسط كل من هذين الجانبين إيوان صغير معقود غُطيت فتحته بباب يعلوه عتب فوقه شباك ينتهى من أعلى بمقرنصات.

أما إيوان القبلة فهو أكبر الإيوانات، ويتميز باحتوائه على ثلاثة أقسام، كما يحتوى على محراب حجرى بسيط وخال من الزخرفة، ربما لأنه محراب خانقاه أعدت للمتصوفة.

واجهة الخانقاه

بُنيت الواجهة من الحجر، وفى طرفها باب كبير تزخرفه مقرنصات، وتكتنفه من الجانبين صُفَف مجوفة غُشيت بالرخام وخُلِّقَتْ بها أعمدة وتيجان رشيقة. ويغطى هذا المدخلَ عقدٌ مجيدى كبير بداخله مقرنص، ويتوسط هذه الواجهة شباك كبير من النحاس.

وتعلو المدخلَ مئذنةٌ، قاعدتها مربعة ضخمة حُلِّيَتْ بالمقرنصات، وبدن دورتها الثانية مستدير، وتمتاز بأن قمتها المضلعة كُسيت بالقاشانى الأزرق، وهى أول تكسية لمئذنة بالقاشانى، تليها منارتا مسجد السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» بالقلعة.

ويوجد على باب الخانقاه مصراعان من النحاس المفرغ الدقيق، بهما تكفيت بسيط بالفضة، ومحفور عليهما اسم «بيبرس». ويؤدى الباب إلى دركاه مربعة، على يسارها باب القبة وبها قبر المنشئ، ويجاور باب القبة باب آخر يؤدى إلى طرقة مستطيلة توصل إلى صحن الخانقاه.

وقد تعرضت هذه الخانقاه لحالة من الإهمال والتخريب، ولكن لجنة حفظ الآثار العربية أولتها عنايتها منذ سنة ١٨٩٨م، وأصلحت مبانيها من الداخل والخارج، كما أصلحت الباب النحاسي والمئذنة وغيرهما.

المسافرخانة

وتُعرف أيضًا بدار الضيافة، وتقع بين دربي المَسْمَط والطبلاوي بحي الجمالية. وقد شيد هذه الدار «الحاج محمود بن محرم» في سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م، وقد كان تاجرًا ماهرًا، فاشتُهر ذكره، وعُرف عنه الصدق والأمانة. وزَوَّجَ ابنه وأسكنه معه في داره، وبنى مسجدًا بجوار هذه الدار على رأس درب المسمط، ووقف عليه أوقافًا، ورتب فيه التدريس.

وللدار ثلاثة مداخل: اثنان في درب المسمط، أحدهما المدخل الرئيسي، والثالث في درب الطبلاوي.. فالمدخل الرئيسي يؤدي إلى دركاه تؤدي بدورها إلى فناء كبير مكشوف، به على اليمين قاعة تضم إيوانين ودرقاعة لها صُفَّة، وبالجهة الغربية باب يؤدي إلى سلم، وبجواره باب آخر يؤدي إلى حديقة الدار.. وبالجهة القبلية للدار «تختبوش» بعموده الرخامي البديع الذي يحوي العتب الخشبي المنقوش، وكانت فوقه مشربية من خشب الخرط استُبدلت بشبابيك الشيشة.

أما الجانب الشرقي من الفناء فتوجد به ثلاثة أبواب: الأيسر يؤدي إلى سلم يوصل إلى الغرف العليا حيث الجناح الشرقي الذي ولد به «إسماعيل» خديوي مصر الأسبق سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م، والأوسط يؤدي إلى قاعة «الأنس» التي نُقش تاريخها على العتب سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، والباب الأيمن يؤدي إلى رحبة توصل إلى قاعة المجد، وهي القاعة الكبرى القبلية الخاصة باستقبال كبار التجار وغيرهم.

وتتكون قاعة المجد من ثلاثة إيوانات بها درقاعة، وتحوى نافورة جميلة من فسيفساء رخامى ملون. وسقف هذه الدرقاعة من الخشب، ويزين دائرها شريط طراز من الخشب مكتوب عليه بخط النسخ تاريخ الإنشاء فى قصيدة شعرية.

ويشتمل الدور العلوى لهذه الدار على قاعة الإسعاد، وتتكون من إيوانين ودرقاعة بينهما، ويطل الإيوان الأيسر على درب المسمط من مشربية من خشب الخرط الدقيق الصنع، وعلى جانبيه خزانات، فوقها شريط طراز دائر حول القاعة كلها كُتبت عليه قصائد متنوعة.. وبالدرقاعة باب يوصل إلى طرقة بها حمّام.

وبالقاعة القبلية خزانة بمصراعين، بينهما مصراع يؤدى إلى سلم على اليمين، وكذلك إلى حجرة صغيرة تتصل بأخرى ضيقة بها باب يؤدى إلى القاعة الشرقية الكبرى العليا. وإذا صعد الزائر على السلم، وجد نفسه فى قاعة صغيرة تحتوى على إيوان واحد ودرقاعة بها مشربية جميلة، وهذه تؤدى إلى قاعة كبيرة لا تقل أهمية عن القاعة الأخرى.

ومما هو جدير بالإشارة إليه، ثراء هذه الدار بالزخارف من كسوة الجدران بالقاشانى، والأرضيات بالرخام الخردة الملون، والأسقف الخشبية الجميلة من القشر البلدى، والمشربيات من خشب الخرط، والمناور ذات الشخشيخة.

ويجدر بالذكر كذلك أن هذه الدار قد استُخدمت كسراى بعد وفاة منشئها وامتلاك الأسرة العلوية لها، كما جُعلت مقرًا لضيافة القادمين إلى مصر من كبار الزوار، ولذلك عُرفت باسم «المسافرخانة».

ومما يؤسف له أن بعض أجزاء قد سقطت من هذه الدار - أو تلك المسافرخانة - فى جانبيها الغربى والجنوبى.

القسم الثانى

أهم الآثار الإسلامية من العصرين المملوكى والعثمانى
بشارع «المعز» (حيًا الأزهر والغورية)

جامع «محمد بك أبى الذهب»

يقع هذا الجامع بميدان الأزهر فى مواجهة المدخل الرئيسى للجامع الأزهر. وقد أنشئ ليكون مدرسة تعمل على مساعدة الأزهر فى استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب الوافدين عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامى. وكان الشروع فى إنشائه سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، والفراغ منه سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. ويعتبر رابع مسجد يُبنى بمصر الإسلامية على طراز الجوامع العثمانية فى مدينة إستانبول: أولها مسجد «سليمان باشا» (أو سارية الجبل) بالقلعة، وثانيها مسجد «سنان باشا» ببولاق، وثالثها مسجد «الملكة صفية» بالداوودية.. وإن كان مسجد «أبى الذهب» يتفق مع مسجد «سنان باشا» فى تصميمه.

محمد بك أبو الذهب

هو الأمير الكبير «محمد بك أبو الذهب»، أحد أمراء مصر وولاتها الذين قاموا بدور خطير فى سياستها؛ فقد كان مملوكًا للأمير «على بك الكبير»، ثم عينه خازندارًا له، ثم قلده الصنجقية، وألبسه الخلعة فى حفلة أقيمت بالقلعة، فسُرَّ بذلك «محمد بك»، وصار يوزع هبات ذهبية، وينثر الذهب على الفقراء، فعُرف بأبى الذهب. ثم عُهد إليه فى سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م بقيادة جيش كبير لفتح سوريا باسم «على بك الكبير»، فاستولى على كثير من بلاد الشام، ولكنه غدر بولى نعمته لصالح الخلافة العثمانية، وتم مقتل «على بك الكبير» على يد «محمد بك أبى الذهب» الذى خلصت له ولاية مصر سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م.

وقد توفى فى عكا سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، ثم نُقلت جثته إلى مدفن أعد له فى هذا الجامع.

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من مساحة مستطيلة؛ إذ يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب حوالى ٣٣ مترًا، وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو ٢٤ مترًا. ويحيط بالمسجد من جهاته دهليز، أما الرواق فيحيط بمكان الصلاة من جهاته الثلاث. وقد قُسمت الأروقة التى تحيط بمكان الصلاة إلى مربعات تغطيها قباب صغيرة كانت تزينها من الداخل رسوم زيتية بزخارف نباتية، ويتوسط مكانَ الصلاة مربعٌ طول ضلعه ١٥ مترًا، يتكون من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب، يكتنف كلا منها شباكان من النحاس المفرغ، وغُشيت جلساتهما وأعتابهما بالرخام، وهذه الأبواب تؤدى إلى الأروقة الثلاثة التى تحيط بمكان الصلاة. ويعد هذا المسجد من المساجد المعلقة، إذ إنه مرتفع عن سطح الشارع، وبأسفله من الجهة الشرقية والشمالية مجموعة من الحوانيت، وكان يُصعد إليه من بابه الشمالى بسلم مزدوج من الرخام الملون، وأمام بابه الشرقى سلم مستدير، وكلاهما استُبدل به غيره، وهما يؤديان إلى دهليز مكشوف يحيط بالمسجد من جميع الجهات عدا جهة القبلة. . وهذا الدهليز هو الجزء الوحيد الذى يحيط بمكان الصلاة، إذ ليس له حرم (أى صحن).

ومئذنة الجامع نصل إليها من الباب الشرقى الذى يؤدى إلى طرقة، ومنها إلى المئذنة والتكية الملحقة. والمئذنة كبيرة مربعة مبنية من الحجر، وتمتاز بأنها مصرية الطراز، على عكس ما هو مألوف فى مآذن العمائر المصرية فى العصر العثمانى، فهى قريبة إلى طراز مئذنة مسجد «قنصوه الغورى»، إذ تتكون من ثلاثة طوابق تعلوها خمسة رءوس.

أما المحراب فيوجد بداخل القبة الكبيرة، وهو محراب مجوف من الرخام الدقيق والصدف، ويندر وجود مثله بين المحاريب العثمانية، إذ يشبه إلى حد

كبير محاريب العصر المملوكي. ويوجد المنبر بجوار المحراب، وهو من الخشب المطعم بالصدف والعاج، وصُنعت ريشته بطريق الحشوات المجمعة على شكل الأطباق النجمية، ودرابزين المنبر من خشب الخرط البديع التكوين. وتجاور القبة مقصورة من النحاس بها قبر المنشئ وابنته «زليخا هانم». ومما هو جدير بالإشارة، أن شاهد قبر ابنته يوجد بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

وللمسجد مزولتان: إحداهما بالسطح، والثانية نقلت إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ويرجع تاريخها إلى سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. ومما هو جدير بالملاحظة، أن هذا المسجد وإن كانت بعض زخارفه قد زالت، إلا أنها كان يغلب عليها التذهيب، مما جعل المنشئ- على رأى المرحوم «حسن عبد الوهاب»- يستحق عن جدارة تلقيبه بأبى الذهب!

منشآت السلطان «قنصوه الغورى»

توجد للسلطان «قنصوه الغورى» مجموعة من المنشآت المعمارية المهمة بمنطقة الأزهر، تتألف من وكالة وقبة وخانقاه ومدرسة / مسجد. وقبل التعرف على هذه المجموعة المهمة، نتعرف أولاً على منشئ هذه المجموعة.

السلطان «قنصوه الغورى»

هو السلطان الملك «الأشرف أبو النصر قنصوه من بيبردى الغورى» الجركسى الجنس. ولد حوالى سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وكان من مماليك السلطان «الأشرف قايتباى»، ثم عُين فى جملة وظائف حتى وصل إلى منصب دوادار كبير ووزير وأستادار، ونودى به ملكًا على مصر سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م، وظل فى السلطنة حتى خرج بجيوشه لملاقاة السلطان العثمانى «سليم» فى موقعة "مرج دابق" شمالى حلب، ولكنه قُتل فى هذه الموقعة سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. ويُشهد له أنه كان مغرمًا بالعمارة، فازدهرت فى عصره وأينعت، واقتدى به أمراء دولته فى إنشاء العمائر.

ومما يُذكر له أنه جدد خان الخليلى، فأنشأه من جديد، وأصلح قبة «الإمام الشافعى» ومسجد «الإمام الليث»، وأنشأ منارة للجامع الأزهر، هذا غير ما أنشأه من قصور ووكالات وخانات، وما عَمَّرَهُ من مساجد.. كما عُنى بأسطول مصر، وليس أدل على غرامه بالعمارة من إنشائه فى منطقة واحدة مجموعة أثرية مكونة من وكالة وحمّام ومنزل ومقعد وسبيل وكُتاب ومدرسة وقبة، ثم هذا المسجد.

وكالة «قنصوه الغورى»

تقع بحى الأزهر، وتعتبر أكمل وكالة احتفظت إلى اليوم بالكثير من معالمها الأثرية وتفاصيلها المعمارية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى عناية إدارة حفظ الآثار العربية بها، وهى اليوم تحت رعاية المجلس الأعلى للآثار. وقد أنشأها السلطان «الأشرف أبو النصر قنصوه الغورى» فيما بين سنتى ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م و٩١٠هـ/ ١٥٠٥م.

الوصف المعمارى

تتكون الوكالة من فناء مكشوف مستطيل الشكل، تحيط به من جوانبه الأربعة قاعات على خمسة طوابق. ويقع المدخل الرئيسى للوكالة فى الجهة الجنوبية، وهو يتكون من سقف على هيئة مُصَلَّبات حجرية تتميز بمهارة الصانع وذوقه، ويوصل هذا المدخل إلى فناء الوكالة الذى تحيط به طرقات حواصل (مخازن) يبلغ عددها بالطابق الأرضى ٣٨ حاصلاً.

ونصل إلى الطابق الأول عن طريق سلم حجرى، ويحوى هذا الطابق ٣٠ حاصلاً، أما الطوابق الثلاثة العلوية فتشتمل على ٢٩ منزلاً، يتكون كلٌّ منها من مدخل على طرقة يؤدى إلى صالة بها سلم حجرى يؤدى إلى الطابق العلوى الذى توجد به صالة ومرحاض وقاعة كبرى مرتفعة إلى مستوى الطابقين الثانى والثالث معًا، وتحوى سقفًا خشبيًا جميلاً.

أما الطابق الثانى فيوجد به سلم يؤدى إلى الصالة التى بها السلم الموصل إلى الطابقين العلوى والأخير، ويحوى وحدات تتكون كلٌ منها من صالة وغرفة صغيرة وحمّام وغرفة كبيرة تشبه القاعة الواقعة أسفلها، على حين نجد ببعض المنازل المتسعة غرفة صغيرة بارتفاع الطابق الثانى فقط تتفرع من داخل القاعة الكبرى، ولها باب خاص يغلق عليها. وتحوى نوافذ هذه المنازل مشربيات خشبية تطل على الواجهة الرئيسية وعلى الفناء.

ومن المؤكد أن حواصل الطابقين الأرضى والأول كانت تُستخدم كمخازن لبضائع التجار المقيمين بالوكالة، حيث كانت تُعرض بضائعهم فى الطرقات السفلية، فى حين كانت المنازل بالطوابق العليا مخصصة لإقامة التجار وأسرهم.

قبة وسبيل «الغورى»

تقع هذه المنشأة الضخمة على رأس التقاء شارع الغورية بشارع الأزهر، وهى تحتوى على واجهتين، إحداهما غربية تشرف على شارع الغورية، والثانية شمالية وتطل على شارع الأزهر.

ويقع المدخل الرئيسى بالواجهة الغربية التى تشرف على شارع الغورية، حيث يُصْعَد إليه عن طريق سلم حجرى ينتهى ببَسْطَة غُشيت أرضيتها بالرخام الملون. ومن الباب المصفح بالنحاس المفرغ، نصل إلى دركاه غشيت أرضيتها بالرخام الملون، وحُلِّىَ سقفها بالزخارف المذهبة.

ويُدخل إلى القبة ـ التى أعدها «الغورى» لتكون مدفنًا له، ولكنه لم يُدفن بها إذ قُتل فى معركة مرج دابق ـ من خلال باب بالجهة الجنوبية من الدركاه، وهى قبة كبيرة ذات قاعدة مربعة، تزخرفها وزرة رخامية من أسفل تنتهى بكتابات كوفية من الرخام، ثم عناصر زخرفية تصل حتى مقرنصات القبة. ويتصدر هذه القبة محراب مجوف ذو زخارف جميلة، على يمينه باب يؤدى إلى مقعده. وللأسف

فقد تهدمت هذه القبة سنة ١٩٠٨م، وكانت تضم الآثار النبوية الشريفة، والتى نُقلت إلى مكانها الحالى بالمشهد الحسينى بالقاهرة.

ويوجد فى الجانب الشمالى للدركاه باب آخر مقابل ومماثل لباب القبة، يوصل إلى الخانقاه المسقوفة بسقف خشبى حديث تزخرفه نقوش مذهبة، وبها محراب آخر جميل الزخرفة، على يساره باب يؤدى إلى فناء واسع.

أما المنشأة الأخرى بالواجهة الشمالية، والتى تطل على شارع الأزهر، فتشتمل على بابين: الأول يؤدى إلى سلم حجرى يوصل إلى سبيل غُشيت أرضيته برخام ملون غاية فى الدقة والإتقان والجمال، وزُخرف سقف السبيل بنقوش ذهبية مموهة، ويعلو هذا السبيلَ كُتّابٌ لتعليم أطفال الفقراء القرآن الكريم، بالإضافة إلى حجرات أخرى بسيطة.

ويؤدى الباب الثانى إلى دركاه معقودة بالحجر، تؤدى إلى مجاز يوصل إلى فناء واسع، يحتوى على سلم يؤدى إلى الخانقاه، ومن بعد إلى حجرات ملحقة بالمقعد الذى بالجهة الجنوبية من الفناء، وسقفه شبيه بأسقف المنشأة، إلا أنه يرتكز على عقود ترتكز بدورها على أعمدة سُدَّ الفراغ الذى بينها بالبناء، وهى تشبه فى ذلك مقعد «قايتباى» بصحراء المماليك. وتوجد بالفناء تركيبة رخامية بسيطة، يقال إنها لضريح «الأشرف طومان باى» ابن أخى «قنصوه الغورى».

مدرسة «الغورى»

يطلق على هذه المدرسة مسجداً، وتقع بشارع «المعز لدين الله» فى منطقة الغورية. ويقال إنه عندما تولى «الغورى» السلطنة، قبض على الطواشى مختص كبير السقاة فى دولة «الظاهر قنصوه أبى سعيد»، وصادر أمواله، وطالبه بأموال أخرى، حيث إنه هو الذى بدأ بإنشاء هذا المسجد فى نفس مكان مسجد «الغورى» الحالى، فما كان من هذا الطواشى إلا أن أعطاه أرض هذا المسجد بما عليها من مبان لكى يسدد ما طالبه به السلطان، ومن ثم هدمه «الغورى» وأمر

بتوسيعه، وأضاف إليه بعض الأسواق، وعُنى برخامه وزخرفته، إلى أن انتهت عمارته سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م.

الوصف المعمارى

تتكون المدرسة من صحن مكشوف مربع الشكل، تبلغ أبعاده حوالى ١١×١٢م، وتتعامد عليه الإيوانات من جهاته الأربع، ويحيط بدائر الصحن من أعلى شريط كتابى، ثم أربعة صفوف من الدلايات الخشبية المموهة بالذهب، ويغشى الجدران رخام ملون بارتفاع يصل إلى مترين تقريبا.

ويشغل الضلعَ الشرقيَّ من الصحن إيوانُ القبلة، يتقدمه عقد مدبب على شكل حدوة الفرس يرتكز على كتفين، ويتصدر هذا الإيوانَ محرابٌ رخامى مجوف تعلوه طاقية ذات عقد مدبب يرتكز على عمودين من الرخام الأبيض. ويوجد المنبر الخشبى على يمين المحراب، وهو ذو حَشْوات مُجَمَّعَة ومطعَّمة بالصدف والعاج، كما طُعِّمَتْ خوذة باب المقدم بالسن وذُهِّبَتْ مقرنصاتها.

ويقع المدخل الرئيسى بواجهة الضلع الشرقى للمدرسة، وهو يتوسط القسم الشمالى للواجهة، ويُصعد إليه بسلم مزدوج ينتهى ببَسْطَة من الرخام الملون يحدها سور من الرخام، وعلى جانبى المدخل مصطبتان من الحجر يعلوهما شريط من الآيات القرآنية. ويتوج المدخلَ عقدٌ مدائنى ذو ثلاثة فصوص، تملؤها سبعة صفوف من الدلايات فى تكوين هندسى بديع التكوين، وقد مُلئت خواصر العقد بدوائر تحتوى على جُمَل دعائية للسلطان.

ويؤدى باب المدخل إلى دركاه (رَدْهَة) مربعة الشكل، تتصدرها جلسة كبيرة.. وسقف الدركاه مزخرف بنقوش زيتية مذهبة، وأرضيتها مُحَلاة بالرخام الملون. ويحوى المدخل بابيْن: الأيمن منهما يؤدى إلى دهليز ينتهى بحجرة مستطيلة الشكل، أما الآخَر فيؤدى إلى ردهة مربعة الشكل غير مسقوفة توصل إلى دهليز.. جزء منه غير مسقوف وينتهى إلى صحن المدرسة.

وتقع المئذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى للمدرسة، وهى مربعة ضخمة،

أقيمت قاعدتها على أساس الواجهة، وتحتوى جلسات دورتيْها الأولى والثانية على مقرنصات دقيقة، والدورة الثالثة كانت مكسوة ببلاطات القاشانى، ولكنها حاليًا تحتوى على زخرفة هندسية قوامها تربيعات الشطرنج، وتحمل مربعًا آخر فوقه خمسة رؤوس من الخشب، يعلو كلاً منها هلال من النحاس.

جامع «المؤيَّد شيخ»

يقع هذا الجامع بشارع «المعز لدين الله» (بمنطقة السكرية) ملاصقًا لباب زويلة وبداخله. ويُعد هذا المسجد فخر مساجد دولة المماليك الجراكسة. وقد كان مكان هذا الجامع سجنًا عُرف بخزانة شمائل، وسُجن فيه «المؤيد» وقت أن كان أميرًا، فنذر إن نجاه الله أن يبنى مكانه مسجدًا.. وعندما ولى مُلْك مصر، وَفَى بوعده، وقام بشراء بعض الأملاك المجاورة للمسجد، فهدمها وبنى هذا الجامع الفريد الذى ذكره «المقريزى» فى خططه بقوله: «.. فهو الجامع لمحاسن البنيان، الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان، يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنوشروان، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانه الخورنق وقصر غمدان..».

الملك «المؤيد شيخ»

هو «المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى» الجركسى الأصل. كان من مماليك الأمير «برقوق»، وكان وقتَ ذاكَ أتابكًا للعسكر، ثم تدرج فى الوظائف حتى عُين نائبًا لطرابلس فنائبًا للشام. وقد ولى مُلْك مصر سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وظل فى السلطنة حتى وفاته سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م. وقد استغرق بناء هذا الجامع ست سنوات، حيث بُدئ العمل فيه سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وانتهى فى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وكان موضع اهتمام ورعاية السلطان «المؤيد شيخ» طوال فترة البناء والإنشاء.

الوصف المعمارى

يشتمل المسجد على أربع واجهات، الواجهة الشرقية منه هى الواجهة الرئيسية المحتفظة بكاملها، وهى مرتفعة، وتزينها وزرات رخامية فى أعتاب نوافذها وصنجاتها، كما غُطى كل شباكين من شبابيكها بمقرنص واحد. ويقع المدخل الرئيسى فى الطرف الشمالى، وباب هذا المدخل من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب، وقد نقله «المؤيد شيخ» من مدرسة السلطان «حسن»، وما زال اسم السلطان منقوشًا على هذا الباب الذى يعتبر من أجمل وأدق الأبواب النحاسية إلى يومنا هذا.

ويكتنف هذا الباب مدخل من أروع وأجمل المداخل المملوكية بمقرنصاتها، وله مصطبتان طويلتان بهما مُزَرَّرَات رخامية، تعلو كلاً منهما صُفَّة، بوسطها مربع مكتوب فيه بالخط الكوفى المربع عبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ويؤدى هذا الباب إلى دركاه سقفها مرتفع بهيئة مُصَلَّبَة حجرية، وبها تربيعتان من الرخام، مكتوب فى كل منهما بالخط الكوفى المربع آية الكرسى، وعلى يمينه ويساره بابان: الأيمن يؤدى إلى طرقة مفروشة بالرخام، على يسارها مزيرة عليها حجاب من خشب الخرط سُجل عليها تاريخ إصلاحها (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، وتنتهى هذه الطرقة بباب يؤدى إلى مؤخر الرواق الشرقى. والباب الثانى على يسار الدركاه يؤدى إلى قبة شاهقة الارتفاع مبنية من الحجر، وزُخرفت بزخارف دالية. وبهذه القبة قبران: قبر ابنه «الصارمى إبراهيم» وأخويْه «المظفر أحمد» و«أبى الفتح موسى»، والقبر الثانى هو قبر «المؤيد شيخ»، وعليه تركيبة رخامية تحيط بها مقصورة من خشب الخرط مكتوب على بابها اسم «يشبك من مهدى».

ولقد كان لهذا المسجد أربعة أروقة تحيط بالصحن، يتكون كل رواق من الأروقة الغربية والشمالية والجنوبية من بلاطتين، وقد تخربت هذه الأروقة ولم يبقَ منها سوى الرواق الشرقى، وهو رواق القبلة الذى تغشى جدرانَهُ وزراتٌ

رخامية ملونة بارتفاع المحراب، وتعلو ذلك شبابيك جصية مفرغة بزخارف جميلة، بكتفيها مستطيلات منقوشة ومذهبة، ويحيط بها شريطان من الكتابة: أحدهما بخط الثلث المملوكى بحروف مذهبة، والشريط الثانى بالخط الكوفى بحروف سوداء على أرضية مذهبة.

ويتوسط جدارَ القبلة محرابٌ مكسوٌّ بالرخام الملون، يكتنفه عمودان أحمران لهما تيجان عربية مذهبة، والمحراب تزخرفه رسوم مختلفة بألوان جميلة. وعلى يمين المحراب، منبر خشبى كبير مطعم بالصدف والعاج، وهو مصنوع من حشوات مجمعة، ومكتوب عليه بخط النسخ المملوكى: (أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك «المؤيد أبو النصر شيخ»، أدام الله أيامه).

وبما أن بناء جامع «المؤيد شيخ» جاء ملاصقًا لباب زويلة، نجد أن مهندسه قد اتخذ من برجى الباب قاعدتين لمئذنتيه، وهما مئذنتان رشيقتان، لكل منهما ثلاث دورات حُلِّيَتْ بالكتابة والنقوش، وتقوم الدورة الثالثة على أعمدة رشيقة ذات خوذة كمثرية الشكل يعلوها هلال نحاسى، وتحمل المئذنة الشرقية نصًّا كتابيًّا يقول: (عمل هذه المئذنة المباركة العبد الفقير إلى الله «محمد بن القزاز»، وكان الفراغ أول رجب سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة). أما المئذنة الغربية فهى تحمل النص التأسيسى: (أمر بإنشاء هاتين المنارتين المباركتين سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك «المؤيد أبو النصر شيخ» عز نصره، وذلك فى نظر العبد الفقير إلى الله تعالى «محمد بن القزاز»، والفراغ فى شهر شعبان المعظَّم قَدْرُهُ سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة).

وقد كانت بالمسجد مكتبة قيِّمة ومدرِّسون لتدريس علوم الدين من سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م. ومما هو جدير بالذكر، أن المسجد قد مر بحالات من التلف والتخريب والإهمال، ولكن لجنة حفظ الآثار العربية أولته عنايتها ورعايتها منذ نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م.. وقد تم ترميمه وتجديده مؤخراً من قبل المجلس الأعلى للآثار، فاستعاد الجامع رونقه وبهاءه القديم مرة أخرى بفضل هذا التجديد الشامل.

القسم الثالث

أهم الآثار الإسلامية بميدان « صلاح الدين »

مدرسة السلطان «حسن»

تقع هذه المدرسة بميدان «صلاح الدين» تجاه باب العزب من قلعة الجبل، وهى أضخم مساجد مصر عمارةً، وأعلاها بنيانًا، وأكثرها فخامة، وأحسنها شكلاً.. وإنْ حَقَّ لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها، فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجبًا بمدرسة السلطان «حسن» التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق الأوسط بأجمعه، فقد جُمعت شتى الفنون فيها.

وقد قيل فى وصف هذه المدرسة الكثير، من ذلك ما يصفه «المقريزى» المؤرخ بقوله: «.. فلا يُعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يُبْنَ بديار مصر والشام والعراق والمغرب مثلها». ويقول عنها المؤرخ «ابن تغرى بردى»: «إن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا، وهى أحسن بناء بُنى فى الإسلام». ويقول عنها المؤرخ «الظاهرى»: «.. ليس لها نظير فى الدنيا، فقد حُكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارتها، طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته». وزارها الرحالة المغاربة فقالوا عنها: «إنه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته وارتفاعه وأحكامه.. وفى أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى، وفيها نقوش عجيبة».

السلطان «حسن»

هو السلطان الملك «الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون».

ولد فى سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م، وكان يسمى «قمارى»، فغير اسمه إلى «الناصر حسن» حينما جلس على سرير الـمُلك، وكان عمره وقتَ ذاكَ ثلاث عشرة سنة. وقد كان أمر المشورة فى الدولة والتدبير فى يد أمراء المماليك، وعلى رأسهم الأمير «شيخو»، فقُبض عليه وألقى فى السجن سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م.. وبعد مضىّ ثلاث سنوات، رجع إلى مُلكه وجلس على عرشه مرة ثانية سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، وظل فى السلطنة حتى اختفى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. ولا يُعرف مكان اختفائه على وجه اليقين، ولا أين دُفن ولا مكان قبره!.. ونستشف من حادثة اختفاء السلطان «حسن» مدى الصراعات السياسية والتنافس بين أمراء المماليك فى ذلك الوقت للانفراد بالسلطة وأمور السلطنة المصرية.

وقد أمر السلطان «حسن» ببناء هذه المدرسة فى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، واختار لها هذا الموقع بعد أنْ هدم ما كان عليها من مبان قديمة، وأراد أن تكون مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة، واستمر العمل ثلاث سنوات بلا انقطاع، حتى احتفل السلطان «حسن» بافتتاح المدرسة، وصلى فيها الجمعة، وأنعم على البنّائين والمهندسين، كما أقيمت بها الدروس أثناء حياته. ومما هو جدير بالذكر أنه حرر لها وقفية مؤرخة فى شهر رجب سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، ورصد لها ولغيرها عقارات وأراضى تَغُلُّ للصرف عليها، وعين بها الموظفين والقراء وإمامًا، وفَرَشَها وعلق بها الثريات ومجموعة جميلة من المشكاوات.

بيد أن أعمال البناء لم تكن قد اكتملت بعد، ومن ثم استمر البناء تحت إشراف ورعاية أميره المخلص الطواشى «بشير الجمدار» حتى بعد اختفاء السلطان «حسن» سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م.. وهذه الأعمال التى قام بها أميره هذا تتجلى فى بناء القبة الكبيرة التى تقع خلف جدار القبلة بالمدرسة، وتحمل تاريخ الفراغ منها سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م، وكذلك الكسوات الرخامية لأبواب المدارس المطلة على صحن المدرسة، والتى تحمل نفس التاريخ السابق.. كما أتم أيضًا قبة الفسقية بصحن المدرسة، وهى القبة الخشبية المحمولة على ثمانية أعمدة رخامية، وتحمل تاريخ الفراغ منها سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م.

تشغل المدرسة مساحة كبيرة من الأرض، تقدَّر بفَدَّانَيْن تقريبًا؛ إذ تبلغ مساحتها ٧٩٠٦م٢ . وهى على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع، وكان ما أمامها خاليًا من جميع الجهات، لذا فإن لها أربع واجهات.

ويقع المدخل الرئيسى للمدرسة فى الطرف الغربى للواجهة الشمالية، ويبلغ ارتفاعها عند الباب حوالى ٣٨م. وقد زُخرف جانبا هذا المدخل بزخارف مختلفة ممتدة إلى أعلى، بل إن أكثرها لم يتم حتى الآن. وتكتنف هذا المدخل حنيتان زُخرفت قمتهما بمقرنصات ولُبِّستَا بالرخام الأحمر بأشكال هندسية، وكُتب أعلاهما بالخط الكوفى المزهر قوله تعالى: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله** ﴾، تعلوهما تربيعتان كُتب على إحداهما بالكوفى المربع (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**)، وبالأخرى أسماء الخلفاء الراشدين (أبو بكر - عمر - عثمان - على).

وتوجد فتحة باب المدخل فى تجويف عميق تعلوه طاقية تنتهى بنصف كرة، ومُلئت منطقة المدخل من المربع إلى الدائرة بصفوف من الدلايات بلغ عددها عشرين صفًا، وقد جُمعت بعض هذه الصفوف على هيئة مثلثات، مما أضفى عليها جمالاً لا مثيل له فى الواجهات المصرية، وربما كانت متأثرةً بزخارف واجهات العمارة السلجوقية.

ولقد كان لباب المدخل مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالذهب والفضة، ولكن - كما سبق الذكر - نقلهما السلطان «المؤيد شيخ» إلى مسجده بباب زويلة. وتتوج المدخلَ الرئيسى ستةُ صفوف من الدلايات تبرز عن سَمْت الواجهة بمقدار ٥ , ١م.

ويؤدى الباب الرئيسى إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات، تتوسطها قبة مكسوة بالحجر الأحمر، وبصدر هذا المدخل مصطبة حُليت بالرخام الملون الملبَّس فى الرخام الأبيض. . ومن هذا المدخل

يُتَوَصَّل إلى سلم ذى خمس درجات يؤدى إلى دهليز معقود ينثنى دفعة واحدة إلى اليسار وينتهى بصحن المدرسة.

ويتفق تخطيط المدرسة مع الطراز المملوكى ذى الإيوانات الأربعة المتعامدة الشبيه بالصليب Cruci - form. ويتوسطها صحن مكشوف، مساحته حوالى ٣٤,٥٠ × ٣٢,٠٠م². وتتوسط هذا الصحن فسقية تغطيها قبة من الخشب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام. ويحيط بالصحن أربعة إيوانات، وبكل إيوان من هذه الإيوانات الأربعة باب يوصل إلى إحدى المدارس الأربع المخصصة لدراسة المذاهب الإسلامية الأربعة (وهى الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى)، وأكبر هذه المدارس مدرسة الحنفية، إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨م²، وتحتوى بعض إيواناتها على شريط من الكتابة يحيط بصحنها، وينتهى هذا النص الكتابى باسم المهندس الذى أشرف على عمارة مدرسة السلطان «حسن» وهو «محمد بن بيليك المحسنى»، وقد قرأه الأستاذ المرحوم «حسن عبد الوهاب» سنة ١٩٤٤م. ويُعد الإيوان الشرقى أكبر الإيوانات، وجدرانه مكسوة بالرخام والأحجار الفاخرة الملونة، ويحيط به من أعلى إطار من الجص مكتوب به آيات من سورة الفتح بالخط الكوفى المزهر، وسقفه معقودٌ ومبنى بالآجر، ما عدا بدايته من جهة الصحن فإنه بالحجر، وهو أكبر عقد مبنىّ على إيوان بمصر. وتوجد بهذا الإيوان دكة من الرخام ترتكز على ثلاث دعامات، منها ثمانية أعمدة. أما المنبر فيقع على يمين المحراب، وهو من الرخام الأبيض، وبابه من الخشب المصفح بالنحاس ومزخرف بأشكال نجمية. ويوجد بوسط جدار القبلة المحراب المجوف، وهو من المحاريب الكبيرة العميقة، وقد زُخرف بالرخام الملون. وعلى جانبى المحراب لوحتان نُقش عليهما ما نصه: (جدد هذا المكان المبارك «حسن أغا»، خزيندار الوزير «إبراهيم باشا»، بيد الفقير «محمد» سنة ١٠٨٢هـ). ويكتنف المحرابَ بابان يوصلان إلى القبة التى تقع خلفه، ويحتويان على مصراعين مصفحين بالنحاس ومكفتين بالذهب والفضة على شكل باب المدخل الرئيسى، إلا أن الباب الشمالى منهما فُقِدَ، أما الباب الجنوبى فقد أجريت له بعض الترميمات فى عهد «عباس حلمى الثانى» خديوى مصر.

أما القبة خلف جدار القبلة فهى مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها ٢١م، وارتفاعها ٤٨م. وزُخرف مربع القبة على ارتفاع ٨م بشريط من الكتابة بخط النسخ مدهون على خشب يحتوى على آية الكرسى، وينتهى بتاريخ الفراغ من هذه القبة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. وتأتى بعد الشريط الكتابى منطقة الانتقال التى مُلئت أركانها بالمقرنصات الخشبية ذات الزخارف المدهونة بطلاء ذهبى.. وقد كانت القبة الأصلية خشبية ومغطاة من الخارج بطبقة من الرصاص، على مثال قبة «الإمام الشافعى» وجامع «بيبرس» بالظاهر وقبة «قلاوون». وقد كان للجنة حفظ الآثار العربية دور كبير فى إعادة تجديد النوافذ الجصية المفرغة والملونة بالفسيفساء الزجاجية الملونة.

ويتوسط هذه القبة تركيبة من الرخام نُقش عليها تاريخ إنشائها سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، ودُفن فيها ولَد السلطان «حسن»، «الشهاب أحمد» (والذى توفى سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م). ويوجد المحراب المجوف فى الضلع الشرقى من القبة، وهو مكسو بالرخام الملون الدقيق الصنع. ويوجد بالقبة أيضًا كرسى مصحف من الخشب المصنوع من حَشْوات مُجَمَّعَة ومُطَعَّم بالصَّدَف والعاج، قوام زخرفته أشكال هندسية من الطبق النجمى، ويعد من أقدم كراسى المصحف التى عُثر عليها حتى الآن.

ومما هو جدير بالذكر، أنه كان مقرراً فى بداية إنشاء مدرسة السلطان «حسن» بناء أربع مآذن، ولكن يوجد بالجانب القبلى الشرقى من المدرسة حاليًا مئذنتان عظيمتان، يبلغ ارتفاع الكبرى منهما حوالى ٦٠ أو ٨١ م.

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من المشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا كانت تتدلى من أسقف إيوانات هذه المدرسة، وكذلك «تنانير» نحاسية مصنوعة من النحاس المفرغ والمكفت بالذهب والفضة.

وجدير بالذكر أن لجنة حفظ الآثار العربية قد قامت بمجهودات عظيمة وكبيرة فى سبيل إصلاح هذه المدرسة، فأتمت بناء مئذنتيها، وأصلحت جدرانها وأعمال الخشب والرخام بها عام ١٩١٥م تحت إشراف «هرتس باشا» كبير

مهندسى اللجنة، كما قام المجلس الأعلى للآثار ببعض الترميمات فى هذه الأيام.

جامع «الرفاعى»

يقع هذا الجامع فى مواجهة مدرسة السلطان «حسن» بميدان «صلاح الدين» بالقلعة، وكانت فى المكان الذى أنشئ به هذا المسجد زاوية عُرفت بزاوية «الرفاعى» نسبة إلى الشيخ «على أبى شباك» من ذرية «الرفاعى»؛ لذلك عُرف المسجد بهذا الاسم.

أنشأت هذا المسجد السيدة «خوشيار هانم» والدة الخديوى «إسماعيل» ليكون مسجدًا كبيرًا ومدفنًا لها ولأفراد أسرتها، وقد تحقق لها ما أرادت، إذ دُفنت فيه سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ودُفن فيه أيضًا كثير من أفراد أسرتها من الرجال والنساء، ومنهم «الخديوى إسماعيل» والسلطان «حسين كامل» والملك «فؤاد»، كما دُفن فيه شاه إيران «رضا بهلوى»، ولكن جثمانه نُقل إلى إيران فيما بعد، هذا على حين يرقد فيه حاليًا جسد ابن الشاه «محمد رضا بهلوى».

الوصف المعمارى

عهدت المرحومة «خوشيار هانم» إلى المرحوم «حسين باشا فهمى» وكيل ديوان الأوقاف سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، بوضع تصميم المسجد، ولكن العمل توقف عدة مرات بسبب وفاة منشئته سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، فدُفنت بالجهة الشرقية.. وبعدها بتسع سنوات لحق بها ابنها «إسماعيل باشا»، فدُفن إلى جانب والدته. وظل العمل معطلاً حوالى ربع قرن إلى أن تولى الخديوى «عباس حلمى الثانى»، فأمر بتكملة البناء سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وافتتح لصلاة الجمعة فى غرة محرم سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

وفى الحقيقة، لقد أراد مصمم هذا الجامع، المرحوم «حسين باشا»، أن

يحاكى مدرسة السلطان «حسن» فى فخامتها وضخامتها، فبُنيت مداخله عالية مرتفعة تكتنفها العُمُد الحجرية والرخامية بتيجانها العربية الإسلامية، وزُخرفت أعتابها بـمُزَرَّرَات رخامية، وغُطيت مداخلها بقباب وسقوف ذات عناصر زخرفية مذهبة.

ويتكون المسجد من مساحة مستطيلة الشكل تبلغ حوالى ٦٥٠٠م٢، خُصص منها ١٧٦٧م٢ للصلاة، أما بقية المساحة فللمدافن وملحقاتها. وإذا دخلنا من الباب الغربى، تقابلنا مساحة صغيرة، ثم حجرة تعلوها قبة، زواياها الخشبية ذات زخارف ذهبية وكتابة خطية جميلة، وفى وسط هذه الحجرة تربة سيدى «على أبى شباك» وسيدى «على الرفاعى». وتوجد بين البابين القبليين حجرة تعلوها قبة، زواياها محلاة بالنقوش والكتابة، وتتوسطها مقصورة من الخشب المخروط المطعم بالعاج والأبنوس أقيمت على ضريح سيدى «على الأنصارى».

ويقع محراب المسجد فى وسط رواق القبلة بالجدار الشرقى، وقد غُشِّىَ بالرخام الملون، ويكتنف كلاً من جانبيه عمودان، أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن. ويوجد المنبر بجانب المحراب، وهو من الخشب النقى المطعم بالعاج والأبنوس. أما دكة المبلغين والمؤذنين فتوجد فى مواجهة المحراب، وهى من الرخام الأبيض، وترتكز على أعمدة. . ويقف بجانبها كرسى المصحف، وصناعته من نوع صناعة المنبر، ويحمل تاريخ صنعه سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١١م. وتحيط بجدران المسجد بخاريات مذهبة منقوشة، كما تتدلى من سقف الجامع ثريات نحاسية عربية ومشكاوات زجاجية مموهة بالمينا.

وللمسجد خمسة أبواب فى الجانب الشرقى، ثلاثة أبواب منها توصل إلى المدافن، واثنان يوصلان إلى درجتين بين المدافن. وفى الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد مصلى، ومن خلفها سبيل يعلوه كُتاب، وخلف المحراب حجرة صغيرة بها سلم يوصل لسطح المسجد. وللمسجد منارتان من الحجر، تتكون كل منهما من ثلاث دورات. ويعد هذا المسجد أول أثر إسلامى يستخدم فى بنائه الأسمنت المسلح على يد باشمهندس الآثار العربية، وهو «ماكس هرتس» باشا.

مسجد المحمودية

يقع هذا الجامع فى ميدان «صلاح الدين» أمام باب العزب بالقلعة، وشرقىّ مسجد السلطان «حسن»، وجنوبَ مدرسة «قانى باى الرماح» فوق الربوة المرتفعة المعروفة بالصَّوَّة.

وقد أنشأ هذا المسجد «محمود باشا» والى مصر من قبل الدولة العثمانية فى عصر السلطان «سليمان» ابن السلطان «سليم». وكان الانتهاء من بنائه سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م، ودُفن فيه منشئه الوالى «محمود باشا» فى نفس العام الذى تم فيه البناء.

الوصف المعمارى

يعتبر هذا المسجد من المساجد المعلقة، إذ يُصعد إليه ببضع درجات، وله أربع واجهات بُنيت من الحجر. وتضم الواجهة الشرقية القبة الضريحية، وهى بارزة عن سَمْت الواجهة وقائمة بمفردها، وقد بُنيت من الحجر هى وقاعدتها ورقبتها، أما القبة فبنيت بالطوب، وهى بسيطة جدًا لا تتناسب مع قاعدتها الحجرية. ومما هو جدير بالإشارة إليه، أن هذه القبة الضريحية تقع خلف جدار المحراب، وهى تعد ثانى نموذج من النماذج التى استُخدمت فى المساجد، حيث كان أول نموذج لها بمدرسة السلطان «حسن» وقبته البارزة عن بقية واجهته الشرقية، وكذلك المشهد الحسينى بعد تجديده.

ويتكون المسجد من مساحة مربعة الشكل، طول ضلعها ١٩,٧٥م، تتوسطها أربعة عُمُد جرانيتية حمراء كبيرة، تحمل أربعة عقود كبيرة قام وسطها منور، وقد ارتكزت عليها وعلى كوابيل حجرية عوارض خشبية تحمل السقوف حوله. وتشطر المسجد طرقة ينخفض مستوى سطح أرضيتها عن مستواه قليلاً، وهى تصل البابين الجنوبى والشمالى بحيث تقسم المسجد إلى إيوانين. ومما هو جدير بالملاحظة، أن تصميم هذا المسجد لا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم

مدرسة، ولا غَرْوَ فى ذلك؛ إذ إن هذا التصميم كان هو الشائع فى مساجد مصر خلال العصر العثمانى.

وتقع مئذنة هذا المسجد فى الناصية الجنوبية، حيث تبدأ بالقاعدة المستديرة التى تحليها زخارف تنتهى عند ارتفاع الواجهة بمقرنصات، وتعلو هذه القاعدةَ مئذنةٌ بسيطة ذات دورة واحدة تنتهى بقمة مدببة تشبه القلم الرصاص، وهذا هو طراز المآذن التى شاعت فى مصر مع الأساليب المعمارية العثمانية.

ويلاحظ أن وضع المئذنة فوق قاعدة مستديرة يماثل وضع مئذنة السلطان «حسن» فى شكل قاعدتها، فهى تقع قريبة منها.

وقد أجريت بهذا المسجد الكثير من أعمال الإصلاح والترميم على يد لجنة حفظ الآثار العربية مع نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م، وكذلك فى عهد الملك «فاروق الأول»، وكان آخر ترميم له هو ما قام به المجلس الأعلى للآثار منذ فترة قريبة.

مسجد «الملكة صفية»

الملكة «صفية»

هى زوجة السلطان «مراد الثالث» ووالدة السلطان «محمد خان الثالث». وهى من ڤينسيا من أسرة نبيلة، وبينما كانت مسافرة فى سفينة بصحبة بعض السيدات النبيلات، اختطفها القراصنة. ولما كانت على جانب كبير من الجمال وصغيرة فى السن، فقد بيعت وألحقت بالقصور الملكية بإستانبول، وسرعان ما تألق نجمها، وصارت مقربة من السلطان «مراد»، فتَسَرَّاهَا. وفى سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م ولدت السلطان الغازى «محمد خان». وقد أدت دورًا كبيرًا فى سياسة الدولة بعد وفاة السلطان «مراد» وتولِّى ولدها السلطان «محمد خان» المُلْك سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م.

أما عن علاقتها بهذا المسجد، ففى الحقيقة أن وقفية هذا الجامع تضمنت أن منشئه هو «عثمان أغا ابن عبد الله» أغاه دار السعادة ومملوك «الملكة صفية»، وقد أوقف عليه أراضى وعقارات، ثم آل بطريق شرعى لسيدته.

وقد استكمل هذا البناء «إسماعيل أغا» - الناظر الشرعى على الوقف الجديد - وذلك كما كُتب على اللوحة التذكارية التى توجد فوق الباب الأوسط للقبة، ونصها: (أنشأت هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى صاحبت الخيرات الآدر الشريفة، والدة المرحوم مولانا السلطان «محمد خان» - طاب ثراه - على يد فخر الخواص المتقربين، مولانا «إسماعيل أغا»، الناظر الشرعى على الوقف المذكور. وكان الفراغ من هذا البناء المذكور فى السابع والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة تسع عشرة وألف من الهجرة).

الوصف المعمارى

يعد هذا الجامع ثالث جامع صُمِّمَ بمصر على مثال الجوامع العثمانية فى مدينة إستانبول، فأولها جامع «سليمان باشا» بالقلعة، وثانيها جامع «سنان باشا» ببولاق. . ويلى تلك المساجد الثلاثة، جامع «محمد بك أبى الذهب» أمام الأزهر، وجامع «محمد على باشا» بالقلعة، وجامع الفتح الملكى بعابدين.

ويرتفع مسجد «الملكة صفية» عن مستوى الشارع بنحو ٤ أمتار. وبناؤه مستطيل ومنقسم إلى قسمين: القسم الشرقى منه يتكون من مربع يتوسطه ١٦ عموداً كبيراً من الجرانيت، تحمل عقوداً حجرية فوقها قبة كبيرة، وتحيط بالمنطقة الواقعة بين عقود المسدس قباب صغيرة. ويتوسط الجدارَ الشرقى محرابٌ رخامى تعلوه قبة صغيرة، برقبتها شبابيك جصية. ويجاور المحرابَ منبرٌ رخامى أيضًا ذو زخارف هندسية ونباتية آية فى الدقة والجمال. وتتوسط الجدار الغربى دكة المبلغ، وهى من خشب الخرط الدقيق. وينتهى طرف هذا المربع من الجهة الجنوبية بالمنارة، وهى أسطوانية تنتهى بمسلة.

والقسم الثانى من الجامع يقع غربى القسم الأول، وتؤدى إليه أبواب ثلاثة فى مؤخر القسم الأول، أهمها أوسطها، حيث زُخرف عقده بمقرنصات، وعليه لوح رخامى منقوش عليه اسم المنشئة وتاريخ الإنشاء واسم الناظر.

ويتكون هذا القسم من صحن مكشوف، حوله أربعة إيوانات عُقدت سقوفها

بقباب صغيرة . . أما القبوات الثلاثة أمام الأبواب، والقبو الواقع أمام باب القبة الأوسط، فإنها مُصَلَّبات . ويتوسط كلٌّ جنب من جوانب هذا القسم الجنوبي والشمالي والغربي باب، يوصل كلٌّ منها إلى وجهة من وجهات الجامع هي من الحجر . وبكل من الواجهتين الجنوبية والغربية سلم كبير مستدير لا نظير له في سعته في أي أثر آخر بمصر . وتسود الواجهات البساطة؛ فهي خالية من الزخرفة والكتابة، أما الواجهة الشمالية فسُلَّمُها مفقود . ويلاحظ أن ميضأة الجامع وُضعت منعزلة عنه في الميدان وسط الحدائق .

ومما هو جدير بالإشارة، أن هذا المسجد صُمِّم تخطيطه على غرار مسجد «أحمد باشا» المعروف بجامع «طوب قبو»، والذي أنشئ سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، ووضع تصميمه المهندس الكبير «سنان» . والتشابه كامل بين الواجهتين بما فيهما السلم الكبير المستدير، وكذلك المنبر الرخامي الذي يكاد يكون صورة طبق الأصل .

وقد أولت لجنة حفظ الآثار العربية أعمال الإصلاح والترميم بهذا الجامع .

القسم الرابع

أهم الآثار الإسلامية بقلعة «صلاح الدين»

جامع «الناصر محمد بن قلاوون»

يقع هذا الجامع فى القسم الجنوبى من قلعة «صلاح الدين». وهو من المساجد الأثرية المهمة من العصر المملوكى عامة، ومنشآت أسرة «قلاوون» خاصة. وقد شُرِع فى بناء هذا المسجد سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م فى عهد السلطان «الناصر محمد ابن قلاوون»، ثم هُدم وأعيد بناؤه مرة أخرى فى سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م. وبعد انتهاء العمل بالجامع، صلى فيه السلطان، وجلس بين يديه رجال الدين وعلماء الإسلام، واستقدم جميع مؤذنى مصر وخطبائها وقرائها، واستمع إلى قراءاتهم وخُطَبهم وآذانهم، فرتب عشرين منهم للجامع، وأوقف أوقافًا للصرف عليه.

الوصف المعمارى

يعتبر هذا الجامع من الجوامع ذات الحجم الكبير. وتخطيطه مربع الشكل، وهو يتبع نظام التخطيطات الأولى للمساجد؛ إذ يتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربع، وأكبر هذه الأروقة هو رواق القبلة، حيث يتكون من أربع بلاطات، أما الأروقة الثلاث الأخرى فكلٌّ منها يتكون من بلاطتين فقط. وقبة هذا الجامع كبيرة بحيث تشغل ثلاث بلاطات مربعة، وهى محمولة على أعمدة ضخمة من الجرانيت الأحمر، ويوجد أسفلها شريط كتابى بخط الثلث المملوكى يشمل آيات قرآنية، وفى نهايته تاريخ الانتهاء من البناء سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، بالرغم من فقدان بعضه وتجديد البعض الآخر.

وتزخرف الجامع من أعلى شبابيك جصية من الداخل والخارج تدل بقاياها على دقة الزخرفة وإتقان الفن. كما غُشِّيَتْ جدران الجامع من الداخل بوزرة رخامية إلى ارتفاع ٥ , ٥ م، وللأسف لم يبقَ منها غير أجزاء قليلة لأشرطة من الرخام وأخرى من الرخام الدقيق المطعم بالصدف. وقد كانت أرضية الجامع مفروشة بالوزرات الرخامية على نحو ما كان سائدًا فى عمائر العصر المملوكى آنَ ذاكَ.

ويوجد لهذا المسجد بابان: أحدهما غربى، تجاوره مئذنة ذات بدن أسطوانى مميز، وقمتها مغشاة بالقاشانى على غرار المآذن الإيرانية التى كانت ببلاد فارس الإسلامية. أما الباب الثانى فيقع بالواجهة الشمالية، وفى نهايته ترتفع مئذنة ثانية تمتاز بقاعدتها المربعة، ودورتها الثالثة مغشاة بالقاشانى، ونُقشت عليها كتابة بخط النسخ المملوكى نصها ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾.

وقد مر هذا المسجد بالكثير من أعمال الإصلاح والتجديد، وبرغم هذا فقد وصل إلى حالة يرثى لها، ففى عهد السلطان «قايتباى»، جُدد منبر الجامع المصنوع من الرخام الملون، حيث سقط سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م.

وللأسف، فقد ساءت حالة هذا الجامع فى العصر العثمانى، حيث هُدمت قبته وفُقدَ منبره، وأسيء استخدامه لدرجة أنه استُعمل أثناء الاحتلال البريطانى كمخازنَ للجيش وسجن للعصاة والمتمردين!

ومما هو جدير بالإشارة، أن لجنة حفظ الآثار العربية قد قامت سنة ١٩٤٧م بالكثير من الإصلاحات والتجديدات والترميمات بهذا الجامع، فقد أعادت ما تهدم من جدار المحراب، وكَسَتْهُ بوزرات رخامية، وفرشت أرضية الجامع بالحجر الجيرى بدلاً من الرخام الذى كان يغطيه وقت الإنشاء.. كما أعادت اللجنة بناء القبة الكبيرة أمام المحراب، وصنعت له منبرًا خشبيًا، نُقش بأعلى مدخله نص كتابى يحمل تاريخ الصنع واسم الملك «فاروق الأول».

جامع «محمد على باشا»

بعد أن أتم «محمد على» إصلاح القلعة، وفرغ من بناء القصور والدواوين وعموم المدارس ودار الضرب بها، رأى أن الحاجة ماسة إلى إنشاء مسجد لأداء الفريضة، وليكون مدفنًا له كذلك، فعهد إلى المهندس التركى «يوسف بوشناق» بوضع تصميم له، فوقع اختياره على مسجد السلطان «أحمد» بالأستانة، واقتبس منه مسقطه الأفقى بما فيه الصحن والفسقية، ثم أدخل من عنده بعض التعديلات البسيطة.

ولقد كان الشروع فى إنشاء هذا المسجد سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، واستمر العمل سائرًا فيه بلا انقطاع حتى توفى «محمد على باشا» فى سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، فدُفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل هذا المسجد. وكان بناؤه عند وفاته كاملاً من أسوار وقباب ومنارات، وكتابات تعلو الشبابيك الخارجية والداخلية ـ بما فيها كسوتها الرخامية ـ على ما هو عليه الآن.

الوصف المعمارى

يُعتبر موقع هذا المسجد من أجَلّ المواقع؛ إذ يشرف على القاهرة مطاولاً السماء بمنارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة، ومن ثم يمكن أن ترمقه العيون من جميع نواحى العاصمة.

وهذا المسجد فى مجموعه يكوّن شكلاً مستطيلاً ينقسم إلى قسمين: القسم الشرقى هو بيت الصلاة أو حرم المسجد، والقسم الغربى هو الصحن الذى تتوسطه فسقية الوضوء، ولكل من القسمين بابان متقابلان. أى أن المسجد يضم أربعة أبواب. وندخل إلى الصحن من الباب الذى يتوسط الجدار البحرى، وهذا الصحن عبارة عن فناء مساحته حوالى ٥٣×٥٤م، وتحته صهريج كبير، وتحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية

تحمل قبابًا صغيرة منقوشة من الداخل، ومغشاة من الخارج بألواح من الرصاص، وبها أهلَّة نحاسية.

وتتوسط الصحنَ المكشوف قبةٌ للوضوء أنشئت سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م، وهي ذات رفرف خشبي، ومقامة على ثمانية أعمدة رخامية. . وباطن هذه القبة مزيَّن برسوم ملونة تمثل مناظر طبيعية متأثرة بالأسلوب الغربي. وبداخل هذه القبة قبة أخرى ثُمَانيَّة الأضلاع تحتوي على هلال رخامي، ومنقوش عليها بزخارف بارزة عناقيد عنب، وبها طراز منقوش ملون، مكتوب عليه بخط النستعليق الفارسي بقلم «سنكلاخ» قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾، وقال ﷺ: «الوضوء سلاح المؤمن»**. . وتحمل تاريخ سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م. ويتوسط الرواقَ الغربي بالصحن برجٌ من النحاس المخرم والزجاج الملون بداخله الساعة الدقاقة التي أهداها ملك فرنسا «لويس فيليب» سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م إلى «محمد علي باشا».

أما القسم الشرقي من المسجد، وهو المعد للصلاة، فعبارة عن شكل مربع، طول ضلعه من الداخل حوالي ٤١م، وتتوسطه قبة مركزية مرتفعة، قطرها حوالي ٢١م، وارتفاعها حوالي ٥٢م عن مستوى أرضية المسجد. وهذه القبة تحملها أربعة عقود كبيرة ترتكز أركانها على أربع أكتاف مربعة. وتحيط بالقبة أربعة أنصاف قباب، ثم نصف قبة خامسة ليغطي بروز المحراب عن جدار القبلة، علاوة على أربع قباب صغيرة بأركان المسجد. هذا، وقد كُسِيَتْ جدران المسجد داخليًا وخارجيًا برخام الألبستر المصري المجلوب من محاجر بني سويف، وكذلك الأكتاف الداخلية الأربعة الحاملة للقبة إلى ارتفاع ١١م.

أما المحراب فهو من الرخام المصري، ويجاوره المنبر الرخامي الجديد الذي أمر بعمله الملك «فاروق الأول»، وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم بالمسجد.

ويعد هذا المنبر من أكبر المنابر بآثار مصر الإسلامية، حيث تزخرفه نقوش مذهبة، قوامها لفائف نباتية متأثرة بأسلوبيْ الباروك والروكوكو الأوربييْن.

وتوجد دكة المبلغ للمؤذنين بالجدار الغربى، وهى بعرض المسجد، ومقامة على ثمانية أعمدة رخامية تتوّجها عقود نصف دائرية، ولها سياج من نحاس. . ويُتوصل إليها وإلى الممر العلوى المحيط بالمسجد من سلمى المئذنتين، وهما على غرار المآذن العثمانية (قلم الرصاص)، وارتفاعهما حوالى ٨٤م. ومما هو جدير بالإشارة، أن القبة الكبيرة وأنصاف القباب قد زُخرفت بنقوش بارزة ملونة مذهبة.

وقد كُتبت أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر - عمر - على - عثمان) فى زوايا القباب والعقود. وفى المثلث الذى كُتب عليه (علىّ كرم الله تعالى وجهه) يوجد توقيع «أمين أزميرى». وبدائرة المسجد من أسفل توجد شبابيك كُتب على أعتابها بخط النستعليق الفارسى من الداخل، وكذلك من الخارج، أبيات من قصيدة البردة للإمام «البوصيرى».

ويقع ضريح «محمد على باشا» فى الركن الغربى القبلى من الجامع، ويتكون من تركيبة رخامية حولها مقصورة من النحاس المذهب مزجت بين الزخارف الإسلامية والزخارف التركية المتأثرة بالباروك والروكوكو.

وفى حقيقة الأمر، لقد نال هذا المسجد قدرًا كبيرًا من العناية والرعاية من أفراد أسرة «محمد على»، ولا سيَّما ممن تبوءوا كرسى العرش، ومنهم الخديوى «عباس الأول»، و«سعيد باشا»، و«الخديوى إسماعيل»، و«الخديوى توفيق». . أما أكبر عناية حظى بها المسجد فكانت من الملك «فؤاد»، حيث استمرت حوالى أربع سنوات، وانتهت عام ١٩٣٩م، وذلك لإعادة بناء القبة وما حولها من أنصاف قباب، وكذلك القباب الضحلة الصغيرة.

قصر الجوهرة

يقع هذا القصر جنوبى قصر «محمد على باشا» بالقلعة، وكانت تشغل مكانه مجموعة من المبانى القديمة بناها كلٌّ من السلطان «الأشرف قايتباى» والسلطان «قنصوه الغورى»، وقد أمر بهدمها جميعًا «محمد على» سنة ١٢٢٧هـ/

١٨١٢م لكى يشيد مكانها قصر الجوهرة الذى بدأ فى بنائه سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وهو يعد بمثابة سراى كبيرة تشرف على ميدان «صلاح الدين»، ومنها يتجلى منظر جميل لمدينة القاهرة من أعلى.

ويقع المدخل الرئيسى للقصر بالجهة الشرقية، وأمامه مظلة محمولة على أعمدة رخامية، وقد نُقشت بأعلى الباب عبارة وُجدت من قبل بأعلى الباب الجديد بالقلعة، نصها: (يا مُفَتِّح الأبواب افتح لنا خير الباب. . سنة ١٢٢٨هـ). ويؤدى هذا الباب إلى طرقة كبيرة بها عقود حجرية توصل إلى سلم فباب كبير، كُتب عليه بخط النستعليق الفارسى عبارة: (الله ولى التوفيق. . سنة ١٢٢٩هـ). وعلى يسار هذا المدخل، وبالنهاية الشرقية الشمالية، توجد قاعة العدل، وهى ذات شكل مستطيل، وتحتوى على سلم مزدوج يوصل إلى الميدان الواقع أمام دار الضرب. ويضم القصر عدة غرف كبيرة وصغيرة، ولها أبواب تصل إلى القاعة الكبرى التى نُقشت على أعتابها صور لسفن الأسطول.

وقد كان قصر الجوهرة مخصصًا لاستقبالات «محمد على»، ويحتوى على قاعة كبيرة تعد أكبر غرفة فى القصر، وهى القاعة المعروفة بصالة العرش. ومما هو جدير بالذكر، أن «محمد على» استقبل فى هذا القصر كبار الزائرين من الأجانب. . وكذلك فعندما زار مصر السلطان «عبد العزيز خان» سنة ١٢٦٢هـ، أقام به سبعة أيام. ويحتوى القصر على حمام من الرخام المرمرى المجلوب من محاجر بنى سويف. وبوسط الحديقة فسقية من الرخام، على حافتها تماثيل لأسود رابضة تتدفق من أفواهها المياه.

ولقد تبين من وثائق "عابدين" أن المهندسين الذين قاموا بأعمال قصر الجوهرة كانوا من الأجانب ما بين الروم والأتراك والبلغاريين والأرناءوط، ومن هنا جاءت التأثيرات المعمارية والفنية الأوربية.

ومما هو جدير بالذكر، أن من أهم مميزات قصر الجوهرة المعمارية أن طرازه عثمانى داخل إلى مصر فى أوائل القرن ١٣هـ/ ١٩م، لذا فهو يحتوى على نقوش ذات فروع نباتية ومناظر منقولة من الأستانة، وتلك النقوش خليط من

الزخارف التى انتشرت فى القرنين ١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م، وهى التى تعرف بالروكوكو.

مسجد «سليمان باشا»

يقع هذا المسجد داخل أسوار قلعة «صلاح الدين»، وقد شُيد فوق بعض المساجد، منها مسجد «سارية الجبل»؛ ولهذا السبب يطلق على هذا المسجد: مسجد السارية. ويرى البعض أنه شيد فى البداية للجنود الإنكشارية الذين اضطروا للإقامة بالقلعة لكى لا يصطدموا بطائفة العزب فى القسم الأسفل من القلعة، فى حين كان جامع «الناصر محمد بن قلاوون» قد تهدمت أركانه وأهملت أحواله وصار غير مؤهَّل للصلاة فيه.

أما عن منشئ هذا الجامع، فهو «سليمان باشا الخادم» والى مصر فى سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، وقد تولى ولاية مصر فى عهد السلطان «سليمان القانونى» سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، واستمر بها حتى سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٥م، ثم تولى مصر مرة ثانية من سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م حتى سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م.

الوصف المعمارى

يعد هذا الجامع من أوائل الجوامع التى أنشئت فى مصر على الطراز العثمانى من حيث شكله المستطيل. وهو ينقسم إلى قسمين مربعين متساويين، المربع الشمالى عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة فى أضلاعه الأربعة، ويغطى كلَّ رواق أربعُ قباب ضحلة كُسيت ببلاطات القاشانى، وترتكز على أكتاف (دعامات) من الحجر.

أما المربع الثانى - وهو الجنوبى - فمخصص للصلاة، ويتصل بالحرم عن طريق باب فى الضلع الجنوبى لرواق الحرم. وتغطى مكانَ الصلاة قبةٌ حجرية كبيرة تقوم على مثلثات كروية، ويحيط بها من جهاتها الثلاث أنصاف قباب، على حين تشغل الضلع الشمالى حنية معقودة. ويتوسط الضلع الجنوبى فى مكان

الصلاة محراب القبلة، وهو مكسو بالرخام وتزخرفه رسوم هندسية. وفي الضلع المقابل لجدار القبلة توجد حنية بها دكة المبلغ، وهي تقوم على كوابيل خشبية جميلة. ويقع المنبر الرخامي الأبيض إلى اليمين من المحراب، وقد زُخرف برسوم نباتية ونقوش كتابية جميلة.

وتوجد كتابة تذكارية للجامع بالداخل، نصها: (قد بَنَى وعَمَّر الجناب العالي مملوك سلطان السلاطين «سليمان بن سليم خان» من آل عثمان، أدام الله دولته إلى يوم الدين، وهو أمير الأمراء المصريين «سليمان باشا» اللهم اجعله من الفائزين، مسجداً لوجه الله المعين، طلبًا لمرضاة رب العالمين، ليعبدوا فيه عباد الله، وكان تاريخه فاركعوا لله مع الراكعين).

ويشتمل هذا المسجد على خمسة مداخل خارجية: مدخلين في المربع الثاني (مكان الصلاة)، وثلاثة مداخل يتوسط كل مدخل منها أحد أضلاع المربع الأول (الحرم) الخارجية للدخول إلى الصحن المكشوف.

أما مئذنة هذا المسجد فتقع بين مكان الصلاة والحرم، وهي أسطوانية الشكل، وتتخللها العديد من القنوات ومشوقة إلى أعلى، وتحتوي على دورتين (شرفتين)، ترتكز الواحدة منهما على ثلاثة صفوف من المقرنصات والدلايات، أما قمتها فمخروطية الشكل وتشبه قلم الرصاص، وهي من طراز المآذن العثمانية.

الباب الجديد

يعد هذا الباب المدخل الرئيسي للقلعة، ويُصعد إليه عن طريق «سكَّة المَحْجَر» من ميدان «صلاح الدين». وقد شيده هو والعقود والأبواب والأسوار المتصلة بها «محمد على باشا» فيما بين سنتيْ ١٢٤٠ - ١٢٤٢هـ / ١٨٢٤ - ١٨٢٦م، ويتكون من فتحة معقودة بعقد نصف دائري، تزخرفها رسوم وسائد (مخدات) تشبه تلك التي بعقد باب الفتوح من العصر الفاطمي.

وهذا الباب مرتفع، وهو من الخشب المصفح بمعدن الحديد، ومثبت بمسامير ضخمة، وله باب خوخة، وتعلو هذا الباب سقاطة صغيرة تُلقى منها المواد الملتهبة على العدو المهاجم، كما فُتحت فيها فتحتا مزاغل لكى يقف من خلفها الجندى ليرشق المهاجمين بالسهام النافذة من خلال هذه الفتحات المتسعة من الداخل لكى تسمح بحرية وقوف الجندى من خلفها، والضيقة من الخارج لكى لا تسمح بنفاذ أى سهم من قِبَل العدو المهاجم الخارجى. . وبأسفل هذه السقاطة لوحة مستطيلة، نُقشَ عليها بخط النستعليق الفارسى عبارة (يا مُفَتِّح الأبواب)، وبقية هذه العبارة نقشت بآخر الباب الجديد فى داخل القلعة، ونصها: (افتح لنا خير الباب).

دار المحفوظات القديمة

تقع هذه الدار بالقرب من الباب الجديد، وهى بخارج القلعة إلى يمين الداخل إلى القلعة من الباب السابق. وقد أمر بتشييدها «محمد على باشا» فى سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م، كما هو منقوش على اللوح التأسيسى بأعلى المدخل الرئيسى لهذه الدار. وقد كان الهدف من إنشاء دار المحفوظات هو حفظ وصيانة أوراق الدولة وسجلاتها ومستنداتها الرسمية. وتغلف واجهة هذه الدار السمات المعمارية للمبانى الحربية، وهى تشترك فى عناصرها الزخرفية ومبانيها المعمارية مع مبانى قلعة «صلاح الدين» فى عهد «محمد على باشا» والى مصر، وذلك من حيث تفاصيل واجهاتها وأسوارها وأبوابها.

وتتكون هذه الدار من دورين، وبكل دور حجرات أعدت للمحفوظات، وتمتاز بمدخلها الكبير الذى يشبه طراز الحصون من أبراج ومزاغل. وتعلو الباب سقاطة كبيرة تحملها سبعة كوابيل بارزة، وتحت السقاطة لوحة رخامية نُقشت عليها كتابة باللغة التركية تحمل النص التأسيسى لهذه الدار وتاريخ الإنشاء سنة ١٢٤٤هـ.

باب العزب

يقع هذا الباب غربى قلعة «صلاح الدين» بميدان الرميلة، ويطل على ميدان «صلاح الدين»، وهو الباب المعروف باسم «باب العزب» أو «باب السلسلة». وتُنسب عمارة هذا الباب إلى «رضوان كتخدا عزبان الجلفى»، أحد البكوات ذوى الوجاهة والزعامة فى القاهرة خلال القرن ١٢هـ/١٨م، وذلك فى سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م.

ويتميز هذا الباب ببرجيه الضخمين على جانبيه. ويُصعد إليه عن طريق قلبتى سلم ضخم. ويلاحظ بهذين البرجين فتحات المزاغل المنشأة لصد أى هجوم خارجى.

القسم الخامس

أهم الآثار الإسلامية بشارع الدرب الأحمر (التبانة)

مدرسة «قجماس الإسحاقى»

تقع هذه المدرسة بشارع الدرب الأحمر. وهى مرتفعة عن مستوى الشارع، وتوجد حوانيت تحت واجهاتها الأربع. وتعد من أهم المنشآت الدينية المبنية فى عصر دولة المماليك الجراكسة. وهى تمثّل مجموعة أثرية مهمة من حيث الزخارف، وكذلك من الناحية المعمارية، حيث ألحق بها سبيل ليروى عطش المارين، وكُتّاب لتعليم فقراء المسلمين.

الأمير «قجماس الإسحاقى»

هو الأمير «سيف الدين قجماس الإسحاقى الظاهرى». كان مملوكًا للسلطان «جَقْمَق»، ونشأ فى خدمته، وتقلد الكثير من الوظائف، كان آخرها وظيفة نائب الشام فى عهد السلطان «الأشرف أبى النصر قايتباى»، وبقى بها إلى أن توفى سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م. ودُفن هناك ببلاد الشام ولم يُدفن بمدرسته هذه، وإنما دُفن بها أحد الصالحين المعروف بالشيخ «أحمد أبى حريبة» المتوفى سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م، ولذا فقد عُرف المسجد باسم هذا الشيخ.

ولم تذكر النصوص التاريخية تاريخ إنشاء هذه المدرسة، على حين ذكرت تاريخ الفراغ من إنشائها سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م.

الوصف المعمارى

إن تخطيط هذه المدرسة تخطيط متعامد يتكون من صحن تحيط به أربعة

إيوانات، اثنان منها كبيران (وهما الشرقى والغربى) والآخران صغيران (وهما القبلى والبحرى)، وتشرف على هذا الصحن المفروش بالرخام عدة أبواب تؤدى إلى المئذنة وإلى حجرات علوية.

وإيوان القبلة - وهو الشرقى - يستهوى الناظر إليه بما حواه من صناعات دقيقة؛ حيث كُسيت جدران صدره بوَزْرَة رخامية ارتفاعها حوالى ٥م، ويتوسطه المحراب ذو الأشرطة الرخامية الملونة، ونُقش بتجويفه بالخط الكوفى المزهر قوله تعالى: ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾.

وقد اعتز الصانع بعمله هذا، فنقش اسمه بشكل زخرفى بتجويف المحراب وكسوة الشبابيك بما نصه: (عمل عبد القادر النقاش).

ويجاور المحراب منبر خشبى طُعمت جوانبه وأبوابه ودرابزينه وقاعدته بالسن والذرنشان، وهو من النماذج المعدودة فى دقة الصناعة، ومكتوب عليه: (أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقر، الأشرف الكريم «السيفى قجماس أمير آخور كبير» الملكى الأشرفى عز نصره). وبالباب القبلى من هذا الإيوان باب يؤدى إلى القبة، وهى من القباب الشاهقة المبنية بالطوب، وتخلو من الزخرفة، وبها قبر الشيخ «أحمد أبى حريبة»، الذى عُرفت المدرسة باسمه.

وتقوم على يسار المدخل الرئيسى للمدرسة مئذنة رشيقة من ثلاث دورات، دورتها الأولى مُثَمَّنَة، يليها بدن مستدير، أما الدورة الثالثة فمحمولة على عُمُد رخامية. ويجاور المدخلَ الرئيسى سبيلٌ صغير. وقد صُنع الباب الخشبى لهذا المدخل بالنحاس المفرغ بأشكال هندسية، وبأعلاه كتابة تسجل اسم المنشئ وألقابه. وباب المدخل له سماعتان رأساهما على هيئة حيوان، ويؤدى هذا الباب إلى دركاه مربعة ذات سقف نقوشُهُ مذهبة.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن داخل هذه المدرسة ثرى وغنى بمختلف الصناعات والزخارف التى تحلى صنج العقود وأعتاب الأبواب والجدران، بالإضافة إلى أشغال الرخام الملون والرخام المطعم بالمعجون الملون، وهو أسلوب فى الزخرفة شاع فى العصر المملوكى الجركسى، إذ حل محل تجميع الرخام الخردة أو تلبيس القطع الملونة فى الرخام، ومثال ذلك خواصر العقود

وتوشيحاتها فى تلك المدرسة التى زُخرفت بهذا الأسلوب، وكذلك المحراب بإيوان القبلة.

وقد أولت لجنة حفظ الآثار العربية عنايتها لإصلاح هذه المدرسة إصلاحًا شاملاً منذ سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، وبخاصة المئذنة والمنبر والشبابيك والسقوف، كما صنعت لها مشكاوات زجاجية كالتى كانت بها.

مسجد «الطُنْبُغا المارداني»

يقع هذا المسجد خارج باب زويلة، إذ بُنى خارج أسوارها فى الفضاء الذى كان واقعًا بين باب زويلة وجامع «أحمد بن طولون»، وكان موقعه مقابر لأهل القاهرة. . وكان السلطان «صلاح الدين الأيوبى» يسلك هذا الطريق فى ذهابه إلى، وإيابه من، القلعة التى بناها. ومنذ نهاية القرن ٧ هـ/ ١٣م، دب العمران فى هذه المنطقة وأنشئ بها الكثير من المنشآت المعمارية فى مختلف العصور، ما بين مسجد ومدرسة وخانقاه وسبيل وكُتّاب ودور وقصور، وقد أبقى الزمن على أكثر هذه المنشآت، ومن أجَلِّها جامع «المارداني».

الطنبغا المارداني

هو «الطنبغا بن عبد الله المارداني»، ساقى الأمير «علاء الدين»، أحد مماليك الملك «الناصر محمد بن قلاوون». وقد ترقى فى عدة وظائف، كان من بينها أمير مئة ومقدم ألف بالديار المصرية، وزَوَّجَهُ «الناصر محمد» ابنته، ثم عُين نائبًا على حماه، ثم نائبًا على حلب، فاستمر بها حتى توفى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م. وكانت بداية بناء هذا الجامع فى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م، والانتهاء منه سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م.

الوصف المعمارى

جُعل تخطيط هذا المسجد على نمط المساجد الجامعة آنَ ذاكَ؛ فهو يتكون من

أربعة أروقة تحيط بصحن مكشوف، وله ثلاثة أبواب بالواجهة البحرية والقبلية والغربية. ويتميز الباب البحرى ببروزه عن سَمْت الواجهة، وتقع على يساره المئذنة الرشيقة المكونة من ثلاث دورات.. أما الباب الغربى فهو من الأبواب الجميلة، وله مقرنصات دقيقة الصنع، وكُتب عليه تاريخ البدء فى عمارة المسجد.

ويعد إيوان القبلة (وهو الشرقى) أكبر الإيوانات، وقد غُشِّيَتْ جدرانه بارتفاع حوالى ٣م بوزرة من الرخام المطعم بالصدف، بها مستطيلات تزينها كتابات بالخط الكوفى المربع. ويفصل هذا الرواق عن الصحن سياج خشبى مخروط ومحفور من وجهيه بزخارف متقنة ودقيقة، وكُتب على وجهيه من أعلى آيات قرآنية.. ويحتوى هذا السياج الخشبى على أبواب تؤدى إلى الإيوان. ويعتبر محراب رواق القبلة من المحاريب القيّمة، حيث غُشيت طاقيته بالرخام الأسود والأحمر والفيروزى، وتعلوه قبة ذات مقرنصات من الخشب الملون والمذهب.. أما المنبر الخشبى، فحشواته المجمعة والمطعمة بالسن تبرز جماله ودقة صنعه. وتوجد بهذا الإيوان دكة مبلغ من الرخام.

وتتوسط الصحن فوارة من الرخام للوضوء، تعلوها قبة من الخشب نُقلت إليه من مسجد السلطان «حسن» سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م. وأسقف هذا المسجد تعتبر من النماذج الغنية بزخارفها الجميلة الملونة والمذهّبة والمدقوقة بأوية. وقد زُخرفت واجهات الصحن بزخارف جصية ذات أشكال دوائر ومربعات ومستطيلات، وتُوجت هذه الواجهات بشرافات مسننة مزخرفة، غُشيت قمتها بغشاء من القاشانى الأخضر.

أما مهندس هذا المسجد فهو مهندس المدرسة الأقبغاوية بالجامع الأزهر التى أنشأها الأمير «أقبغا عبد الواحد» - أحد أمراء السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» - سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، وهو «ابن السيوفى» رئيس المهندسين فى عهد «الناصر محمد بن قلاوون». وقد ظهرت براعته فى هذا المسجد، إضافةً إلى المدرسة الأقبغاوية.

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بأعمال جليلة من حيث الإصلاح والتجديد فى هذا المسجد من سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م حتى سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، وبهذه الإصلاحات والترميمات استعاد هذا الجامع جماله وبهجته.

جامع «آق سنقر» (أو إبراهيم أغا)

يقع هذا الجامع بشارع باب الوزير. أنشأه الأمير «آق سنقر الناصرى» أحد مماليك السلطان «الناصر محمد بن قلاوون». وقد عُين فى عدة وظائف، منها مقدم ألف، وأمير شكار (المشرف على الطيور والكلاب المدربة والمخصصة للصيد)، ثم أمير آخور (المشرف على الإصطبلات والبريد والهجْن)، ثم ولى نيابة طرابلس، لكنه قُتل فى سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، ودُفن فى هذا المسجد.

ولقد شُرع فى بناء الجامع سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٧م، وأنشئ بجواره مكتب وسبيل، ومكان ليدفن فيه الأمير «آق سنقر»، ثم نُقل إليه ابنه، وافتتح للصلاة سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م. وأوقفت عليه ضيعة من قرى حلب للصرف عليه وتعميره.

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من الجهات الأربع، أكبرها الرواق الجنوبى الشرقى الذى يحتوى على ثلاث بوائك مكونة من دعائم حجرية مثمنة الشكل باللون الأبيض والأحمر (الحجر المشهر)، وتعلو البوائك عقود مدببة تحيط بها صنجات بالحجر المشهر، وهذه البوائك تقسم رواق القبلة إلى ثلاثة أروقة تغطيها قباب ضحلة.

ويحتوى كل جنب من الجوانب الثلاثة الأخرى على رواق واحد. ونصل إلى صحن الجامع عن طريق ثلاثة أبواب فى واجهات المسجد الثلاث: الغربية والشمالية والجنوبية. وقد أقام الأمير «طوغان الدوادار» بوسط الصحن فوارة

للوضوء سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، وأقام فوقها مظلة تقوم على أعمدة. ولم تكن تلك الفوارة موجودة منذ نشأة الجامع، ولكنها زالت الآن، وربما يكون مكانها الآن حديقة بوسط الصحن.

وتعد الواجهة الغربية أهم واجهات الجامع، إذ يقع بها المدخل الرئيسى المحمولُ عقدُهُ على كوابيل، والْمُلَبَّس عَتَبُهُ بمزررات رخامية خضراء اللون. وعلى يساره قبة الأمير «علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون»، والتى بُنيت سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م؛ أى قبل إنشاء الجامع بعام.

وتوجد على يمين الداخل غرفة أنشأها «إبراهيم أغا مستحفظان» سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م، غُطيت جدرانها بوزرة من الرخام، وبها محراب رخامى، وأعلى الرخام وحتى السقف كُسى بالقاشانى الأزرق، ويتوسطها قبر المنشئ الذى أنشأه فى حياته سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٤م؛ لذلك عُرف هذا الجامع باسم «إبراهيم أغا مستحفظان» منذ ذلك التاريخ، كما يُعرف عند العامة بالجامع الأزرق نسبةً إلى مجموعة القاشانى العظيمة ذات اللون الأزرق الموجودة به، والتى كُتب عليها اسمه وتاريخ العمارة التى أحدثها بالجامع.

ومما هو جدير بالإشارة، أن أهم الإصلاحات والعمارات التى أجريت بهذا الجامع كانت فيما بين سنتىْ ١٠٦١ - ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١ - ١٦٥٢م، على يد «إبراهيم أغا مستحفظان» الذى هدم بعض القباب الضحلة بالسقف واستبدل بها سقفا من الخشب، وخاصة البائكة المطلة على الصحن.

ومما هو جدير بالذكر، أن قبر الأمير «آق سنقر الناصرى» الحالى ليس بموضعه الأصلى، إذ كان قد أعد لنفسه مقبرة بجوار الجامع حلت محلها الآن بعض الأبنية التى تحجب بقية الواجهة القبلية.

ويشتمل هذا الجامع على بعض العناصر المعمارية المهمة، والتى لا تزال باقية فيه، نلخصها فيما يلى:

- **المنبر الرخامى الملون:** وهو أقدم منبر رخامى باق فى مسجد بمصر

الإسلامية، يليه منبر مدرسة السلطان «حسن»، وإن كان أقدم منبر رخامى هو ذلك الموجود بمسجد الخطيرى (سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م). . وبقايا هذا المنبر محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

- قبة كبيرة بمقرنصها من طاقة واحدة تعلو المحراب، وهذه من مميزات القباب الفاطمية فى نشأتها.

- الجدار الشرقى من الجامع حتى السقف مكسوّ بالقاشانى الجميل. وهذه المجموعة من بلاط القاشانى الخزفية تعد من أكبر المجموعات التى وُجدت فى أثر واحد بمصر، وقد عُملت خصيصًا لهذا الجامع برسوم وزخارف متنوعة، أهمها كتابة (يا الله. . يا محمد)، ولذا عُرف بالجامع الأزرق.

وقد أولت لجنة حفظ الآثار العربية عنايتها بهذا الجامع، فأصلحت العقود والقاشانى، ورممت المنبر، وكشفت الواجهات من الأبنية التى تحجبها، حتى ظهر المسجد بهذا الشكل الجميل والمتأنق.

مدرسة «أم السلطان شعبان»

تقع هذه المدرسة بشارع باب الوزير، ويرتبط اسمها باسم شخصيتين عظيمتين:

- السيدة الجليلة «خوند بركة» أم السلطان «شعبان»، وكانت من السيدات الفُضْلَيَات الخيِّرات، واشتهرت بميلها إلى أعمال البر. وقد توفيت فى سن الكهولة سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م، ودُفنت بهذه المدرسة.

- الملك الأشرف «أبو المفاخر شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون». ولد سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، وتولى حكم مصر سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م وهو صغير السن وزمام الدولة فى يد الأتابك «يلبغا العمرى»، فتآمر عليه الأمراء وقتلوه فى سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٧م، ودُفن فى قبة هذه المدرسة بإجماع معظم المؤرخين.

وكان الفراغ من إنشاء هذه المدرسة سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م. وقد أعدت لتكون مدرسة للشافعية والحنفية، وربما للمذاهب الأربعة. وقد حفلت بشتى أنواع الصناعات.

الوصف المعماري

تشتمل هذه المدرسة على صحن كبير مربع الشكل، طول ضلعه ١٨م، تحيط به أربعة إيوانات متعامدة، وتكتنف كل إيوان مدرسة المذهب المخصص لها. ونُقش على جوانب أبواب المدرسة نص كتابي يقول: (أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته، مولانا وسيدنا السلطان الملك «الأشرف شعبان بن حسين» عز نصره). ويتصدر الإيوان الشرقي - وهو إيوان القبلة - محراب كُسي بالرخام الملون. ويوجد بجانب المحراب منبر خشبي بسيط، أمر بعمله أحد أمراء المماليك الجراكسة يسمى الأمير «علي». ويوجد بالواجهة الرئيسية، فى الضلع الشرقي للمدرسة بطرفها الشمالي الشرقي، حوض لشرب الدواب، يعلوه كُتاب لتعليم أطفال المسلمين وتحفيظهم القرآن الكريم. ويوجد بالطرف الجنوبى الشرقي سبيل، ثم ملحقات للمدرسة، فالمئذنة. . وكانت تتكون من ثلاث دورات، فُقدت دورتها الثالثة مع الخوذة. وتكتنف الواجهة الشرقية قبتان.

ويحفل المدخل الرئيسى للمدرسة بزخارف ونقوش وكتابات تحمل اسم السلطان «شعبان» وتاريخ الإنشاء. ويؤدى المدخل العام إلى طرقة مربعة، بصدرها صُفة، على يمينها باب يؤدى إلى الكُتاب، وعلى يسارها باب يوصل إلى طرقه مستطيلة، وهذه الطرقة طويلة معقودة تشق جدارين أصمين، وبالنهاية اليمنى منها باب يوصل إلى الجزء العلوى، وبصدرها باب يؤدى إلى صحن المدرسة.

أما عن ضريحى السلطان «شعبان» وأمه فهما بأسفل قبتين. . هاتان القبتان تكتنفان الإيوان الشرقى، القبلية منهما خُصصت لدفن السلطان «شعبان»، ودُفن فيها أيضًا ابنه «المنصور حاجى» سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م، وهى قبة صغيرة

بُنيت بالحجر، وخارجها مضلع. أما القبة البحرية فخُصصت لدفن «خوند بركة» أم السلطان «شعبان»، ودُفنت معها ابنتها «خوند زهرة». . وهي قبة شاهقة الارتفاع مبنية بالحجر، ومضلعة من الخارج، ويتوسط شبابيكها محراب يكتنفه عمودان مثمنان زُخرفا بنقوش، وبتيجان الأعمدة أثر للتذهيب.

أما كرسي المصحف، فقد نُقل من هذه المدرسة إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وهو من الخشب وذو ست أضلاع، وبه زخارف دقيقة من السن والأبنوس. وكانت بهذه المدرسة مشكاوات زجاجية مذهبة بالمينا، ولكنها نقلت إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

القسم السادس

أهم الآثار الإسلامية بشارع الصليبة

مدرسة الأمير «صَرْغتمش»

تقع فى شارع الخضيرى - حاليًا - ملاصقة للواجهة الغربية لجامع «أحمد ابن طولون». شيدها الأمير «سيف الدين صرغتمش الناصرى» من مماليك «الناصر محمد بن قلاوون»، وانتهى منها سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م. وكانت هذه المدرسة معقلاً للعلماء والفقهاء - وخاصة للحنفية - من بلاد فارس فى القرنْين ٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م؛ لذا فقد ظهرت تأثيرات فنية فارسية واضحة فى عمارة وزخارف هذه المدرسة.

الوصف المعمارى

تتكون هذه المدرسة من أربعة إيوانات حولها صحن مكشوف، وتتوسطها فوارة حولها ثمانية أعمدة رخامية (وهذه الفوارة ليست هى الفوارة الأصلية، وإنما أعمدتها فقط هى الأصلية)، وأكبر الإيوانات هو إيوان القبلة الذى ينقسم إلى ثلاثة أقسام، أكبرها أوسطها. . ويتصدر هذا الإيوان محراب تزخرفه أشرطة رخامية ملونة وطاقية ذات نقوش جميلة عليها كتابات، منها آية الكرسى، ويوجد المنبر الخشبى بجوار المحراب، بحشواته الهندسية المجمعة، وعليه كتابة نصها: (أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى «قيومجى أحمد كتخداى عزبان» عمَّره الله، سنة ١١١٨هـ). ومما هو جدير بالملاحظة، أن المحراب تغطيه قبة هى أول قبة باقية فوق محراب مدرسة، تلك القبة التى أعادت بناءها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٤٠م.

وتوجد حول صحن هذه المدرسة أبواب خلاوى ذات عقود فارسية الطراز، ومكسوة بالرخام الأبيض والأسود، وربما كانت هذه الكسوة من غير عمل المنشئ، وإنما تالية له؛ وذلك لأن فتحاتها كانت تشتمل على عتبات أوسع مما هى عليه فى الوقت الحالى.

ويوجد باب القبة بالركن القبلى للإيوان الغربى، حيث نرى ثراء الأرضية والجدران المغشاة بالرخام الملون. وبوسط القبة توجد تركيبة من الرخام على درجة عالية من دقة الصنع وإتقان الزخرفة وجمال الشكل، ولكنها تخلو من اسم مَن صُنعت له.

وهذه القبة مصمَّمة على مثال القباب السمرقندية، إذ لها رقبة مستطيلة محاطة بإفريز عليه نقوش كتابية. وهذا النوع من القباب نادر بمصر، وظهر لأول مرة بتلك المدرسة.

وتقع الواجهة الرئيسية للمدرسة بالناحية الغربية، وبطرفها القبلى القبة، وهى بارزة عن سَمْت الواجهة. والمدخل الرئيسى حافل بالمقرنصات المذهبة والتواشيح ذات الزخارف النباتية المورقة (الأرابيسك). ويتوسط هذا المدخل باب تزين عتبه زخارف نباتية مورقة أيضًا، ومنقوش على جانبيه تاريخ الإنشاء واسم المنشئ. ويؤدى هذا الباب إلى دركاه هى عبارة عن ردهة صغيرة بصدرها صُفَّة، وعلى اليسار منها باب لميضأة، وعلى اليمين باب يؤدى إلى غرفة كبيرة تطل على الواجهة، ثم باب يُصعد إليه ببعض درجات سلم يؤدى إلى داخل المدرسة.

أما مئذنة هذه المدرسة فهى من المآذن الحجرية الرشيقة، ويبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض ٤٠م، ومن سطح المدرسة إلى قمتها ٢٤,٦٠م، وتتكون من ثلاث طبقات: الأولى والثانية مثمنة القطاع، والثالثة تتكون من عُمُد رخامية تحمل مقرنصات جميلة فوقها خوذة منقوشة. وتمتاز هذه المئذنة بتلبيسها بالحجارة الملونة، وربما اقتبست تصميمها من أسلوب مئذنة «الناصر محمد بن قلاوون» بالقلعة.

خانقاه «سلار» و«سنجر الجاولى»

يقع هذا الأثر على ربوة عالية بشارع مراسينا (شارع «عبد المجيد اللبان» الموصل من ميدان «السيدة زينب» إلى ميدان «صلاح الدين» بالقلعة). وقد اقترن اسم هذه الخانقاه بشخصيتين كبيرتين من عصر دولة المماليك البحرية، وهما:

- الأمير «سيف الدين سلار» نائب السلطنة، وكان مملوكًا «للمنصور قلاوون»، ثم تنقل فى عدة وظائف إلى أن عُين نائبًا للسلطنة فى عهد السلطان «الناصر محمد بن قلاوون»، وكانت وفاته سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م.

- الأمير «علم الدين سنجر الجاولى» - نسبةً إلى الأمير «جاولى» - والذى انتقل إلى أسرة «قلاوون» وترقى فى العديد من الوظائف بالشام، وتوفى بمصر سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٦م، وله العديد من المنشآت فى الشام.

تاريخ الخانقاه

عُرفت هذه الخانقاه باسم جامع - أو خانقاه - «الجاولى». وهى من منشآت أوائل القرن الثامن الهجرى، أنشأها الأمير «سيف الدين سلار الناصرى» فى سنة ٧٠٣ هجرية، وجددها الأمير «سنجر الجاولى» فنُسبت إليه.

ومما سبق ذكره، يتضح خطأ أولئك الذين ينسبونها إلى الأمير «سنجر الجاولى»، ولكن الثابت أن كليهما قد دُفن فى هذه الخانقاه: الأمير «سيف الدين سلار» دُفن بأسفل القبة الكبيرة، ومن بعده الأمير «سنجر الجاولى» دُفن بأسفل القبة الثانية، وهى أصغر من الأولى وأقل منها زخرفًا.

ويرجع تاريخ إنشاء هذه الخانقاه إلى سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، وهو تاريخ مُوثَّق من النص الكتابى المسجل على اللوح التأسيسى بأعلى عتب المدخل الرئيسى بما نصه: (عُمل هذا المكان فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة).

يعد تصميم هذا الأثر مختلفًا تمامًا عن تصميم المساجد والمدارس، ولكنه أقرب إلى تصميم الخانقاه كما يرى الأثرى العلامة «حسن عبد الوهاب»؛ فمسقطها الأفقى غير منتظم، إذ يبلغ مسطحها حوالى ٧٨٠م[٢]. وتعد واجهة هذه الخانقاه فريدة من نوعها، إذ تشتمل على قبتين، إحداهما كبيرة والأخرى أصغر منها، والمئذنة تجاورهما، ثم المدخل الرئيسى للخانقاه.

ويرتفع المدخل الرئيسى عن مستوى أرض الشارع بحوالى ٣م، ونصل إليه عن طريق قلبتى سلم، ومن فتحة المدخل نصل إلى باب مستطيل يؤدى إلى دركاه سقفها معقود، كما أن لها بابًا متوجًا بعقد مثلث يؤدى إلى سلم مرتفع مكون من ٢٣ درجة سلم يوصل إلى الخانقاه.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن القبتين قد بُنيتا بالطوب، وزُخرفت أضلاع قاعدتهما بأفاريز من الجص المنقوش وبخاريات صغيرة منقوشة، وحُليت الرقبة بشبابيك ذات زخارف جصية مفرغة وفسيفساء زجاجية ملونة، يعلوها إفريز به كتابات جصية تتخللها زخارف نباتية مورقة (أرابيسك)، يعلوها إفريز آخر به كتابات كوفية.. ويعتبر وجود الكتابات الكوفية على هذا الشكل بالقباب من مميزات قباب نهاية القرن ٧هـ/ ١٣م، وبداية القرن ٨هـ/ ١٤م.

ونصل إلى المصلى والمدفن من خلال السلم المرتفع. وقد طرأ تغيّر كبير على المصلى؛ فالقسم الجنوبى منه على حالته الأولى، وتوجد به فى الناحية الشرقية ثلاث خلوات للصوفية، يعلو باب اثنتيْن منها شباكان صغيران مفرغان، وتعلو هذا الضلع شبابيك صغيرة خشبية تحليها زخارف محفورة، ويحيط بها إفريز جصى لتكون خانقاه ومدفنًا.

ويؤدى باب المدفن إلى طرقة طويلة مغطاة بثلاثة أقبية متقاطعة، ويُفتح على هذه الطرقة بابا القبتين: باب يوصل إلى القبة الكبيرة ـ تلك التى دُفن بها الأمير «سلار» نائب السلطنة ـ ومكتوب على عتبتها اسم هذا الأمير وتاريخ سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م.

ويتوسط هذه القبة تابوت به بقية من حشواته المدقوقة بالأوية، وبصدرها محراب حُليت طاقيته برخام دقيق أيضًا.

أما الباب الثانى فيؤدى إلى القبة الثانية التى دُفن بها الأمير «سنجر الجاولى»، وهى أصغر من الأولى وأقل زخرفًا، ومكتوب على بابها اسم الأمير «سنجر» وتاريخ سنة ٧٠٣هـ، ويتوسطها تابوت رخامى ومحراب حجرى.

وبالنهاية الغربية لهذه الطرقة توجد قبة صغيرة من الحجر تخلو من الزخرفة، وهى تعتبر أقدم قبة حجرية لا تزال باقية، وقد عُرفت باسم قبة «عبد الله الذاكر».

أما المئذنة الشبيهة بالمبخرة، فإن قاعدتها المربعة مبنية بالحجر وباقيها بالطوب، وتحتوى على شبابيك ذات عقود متنوعة، وكذلك بابها المعقود ذو المكسلتين، وهو الأول من نوعه. وبدن الدورة الثانية مثمن، وكذلك بدن الدورة الثالثة، فهو مثمن أيضًا بترس وتعلوه خوذة مضلعة. . وهذا الطراز فى تصميم قمم المآذن كان من مميزات المآذن الأيوبية، ثم استمر فى العصر المملوكى حتى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م.

مدرسة «ابن تغرى بردى»

تقع هذه المدرسة بشارع الصليبة على مقربة من جامع «أحمد بن طولون».

التعريف بالمنشئ

هو «يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله، الأمير جمال الدين أبو المحاسن». كان والده أميرًا كبيرًا وأتابك العسكر بالديار المصرية، وكافل المملكة الشامية. وُلد بالقاهرة فى نحو سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، وكان محبًا للعلم والعلماء، ودرس الفقه والنحو، وبرع فى عدة علوم، وشارك فى عدة فنون، ونَظَمَ الشعر وكَتَبَ النثر، كما كتب عن شعراء عصره، ولازم مؤرخى زمانه مثل قاضى

القضاة «محمود العينى» والشيخ «تقى الدين المقريزى». وقد ترك لنا هذا الأمير المؤرخ العديد من المصنفات العلمية فى التراجم والأخبار، أكثرها شهرة كتابه الكبير فى تاريخ مصر منذ فتح «عمرو بن العاص» وحتى قبيل وفاته سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م، وهو بعنوان (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة). وقد دُفن «ابن تغرى بردى» فى القبة الضريحية بمدرسته هذه بالصليبة.

الوصف المعمارى

تعتبر هذه المنشأة المعمارية طرازًا جميلاً من عصر دولة المماليك الجراكسة، فهى نموذج لمدرسة ذات إيوانات، كما تحتوى على قبة ضريحية تقع إلى يمين الداخل من الباب الرئيسى للمدرسة. ويقع هذا المدخل بالواجهة الشرقية للمدرسة التى تعبّر بصدق عن واجهات المدارس المملوكية التى يمثل المدخل الرئيسى فيها مكانة بارزة، حيث يتوّجه عقد مدائنى تزين طاقيته حطات من الدلايات، وتوجد على جانبيه مكسلتان، ويعلو فتحة الباب المستطيلة عتب فوقه صنج رخامية معشقة يحصران بينهما العقد النفيس.

وتقع القبة الضريحية على يمين المدخل، وتزخرف سطحها الخارجى زخارف حجرية مضلعة عبارة عن ميمات. وتوجد المئذنة إلى جوار هذه القبة، وهى ذات طراز مملوكى، حيث تنتهى قمتها بجوسق محمول على أعمدة رخامية رشيقة.

أما السبيل الذى يعلوه كُتاب، فيوجد إلى اليسار من المدخل، وهو يحتل الجانب الأيمن من هذه الواجهة الشرقية. ومما يؤسف له أن هناك بعض التعديلات من قبل أهالى المنطقة على سبيل هذه المدرسة.

سبيل وكتاب «أم عباس»

يقع هذا السبيل والكُتاب بشارع الصليبة بمحاذاة مدرسة «ابن تغرى بردى».

وقد أنشأت هذا السبيل والدة «عباس» ابن عم» إسماعيل باشا» في سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م. وهو من العمائر التي أنشئت في مصر الحديثة إبان عصر «محمد على باشا»، حيث كثر بناء الأسبلة ذات الطراز العثماني، والتي تمتاز بالتخطيط المثمن البارز عن سَمْت الجدار، كما أن أسلوب تغشية الجدران كان بالرخام المنقوش عليه والمحفور فيه زخارف نباتية ذات تأثيرات أوربية مثل الروكوكو، علاوة على استخدام اللغة التركية في كتابة النصوص التأسيسية على الألواح الرخامية.

سبيل وكتاب «قايتباى»

يقع في نهاية شارع الصليبة بالقرب من ميدان «صلاح الدين» بالقلعة. وقد شُيد هذا السبيل وحوله فراغ من أية مبان؛ لذا فهو يحتوى على أربع واجهات، على عكس ما هو متبع الآن من وجود بعض المساكن بجانبه. وقد أنشأ هذه المنشأة «السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى» سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن هذا السبيل والكُتاب يعتبر الأول من نوعه في عصر دولة المماليك الجراكسة بمصر الإسلامية، وأنه شُيد دون أن يكون ملحقًا بمسجد أو مدرسة كما هو معتاد وقتَ ذاك. ومما هو جدير بالملاحظة أيضًا، مدى الثراء الزخرفي في مادتي الحجر والرخام على جدران السبيل من زخارف نباتية مورقة (أرابيسك) وزخارف هندسية، هذا علاوة على وجود الرنك الكتابي للسلطان «قايتباى»، والذى يتكون من ثلاثة أقسام أفقية على النحو التالي:

القسم الأول: عز لمولانا السلطان الملك الأشرف..

القسم الثاني: أبو النصر قايتباى..

القسم الثالث: عز نصره.

هذا بالإضافة إلى زخرفة الجفوت ذات الميمات، وكذلك تغشية شباكي التسبيل بالمصبعات الحديدية.

القسم السابع

أهم الآثار الإسلامية بمقابر المماليك

لقد كانت هذه المنطقة رقعة من الفضاء الممتد من قلعة الجبل حتى العباسية، وقد كانت فى القرن ٨هـ / ١٤م ميدانًا فسيحًا للعب الكرة يسمى ميدان العيد، وبَطَلَ استعماله فيما بعد عندما أخذ المماليك والأمراء فى إنشاء المبانى به، وقد عَمَرَ واكتظ بالمبانى فى القرن ٩هـ / ١٥م، وأصبح يطلق عليه الآن مقابر المماليك بما يضمه من مجموعة القباب التى تميز كلٌ منها بمميزات معمارية خاصة. وكان بالقاهرة قرافتان:

- القرافة الصغرى، وبها قبر «الإمام الشافعى».

- والقرافة الكبرى، وتقع شرق القاهرة (الفسطاط) بجوار المساكن، وفيها كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت مصر.

وقد سميت المقبرة «قرافة» باسم قبيلة يقال لهم «بنو قرافة». وكما سبق القول، تشتمل القرافة الكبرى على مجموعة فريدة من أضرحة وقباب ومساجد سلاطين المماليك الجراكسة وأمرائهم.

قبة «يونس الدوادار» (أنس)

هذه القبة من أقدم آثار دولة المماليك الجراكسة؛ إذ ترجع إلى سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨٢م. وتتميز القبة بأنها مضلعة من الداخل والخارج، وتتكون منطقة انتقالها من مقرنص من ثلاث حطات، وباب القبة متوج بعقد فريد الطراز من الحجر. وتحتوى هذه القبة على محراب يتميز بوجود تجويفين متداخلين.. للداخل منهما طاقية مُخَوَّصَة لها مقرنص من ثلاث حطات، وهو ذو شكل غريب فى تصميمه.

ولم يُدفن الأمير «يونس» فى ضريح هذه القبة لأنه مات شهيدًا فى سورية، ودُفن بها الأمير «أنس».

خانقاه وقبة «فرج بن برقوق»

تقع هذه الخانقاه بجوار قبة «يونس الدوادار». وقد أنشئت فى عهد الملك «الناصر فرج بن برقوق» سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وانتهى منها سنة ٨١٣هـ/١٤١١م. وهى أضخم منشأة معمارية، وتصميمها يخدم عدة وظائف مهمة؛ فهى مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة، ومسجد واسع للصلاة، وقبة ضريحية لأسرة «الظاهر برقوق»، وخانقاه للانقطاع للعبادة.

الوصف المعمارى

تتكون المنشأة من شكل مربع يتوسطه صحن محاط بعقود مدببة محمولة على دعائم حجرية. ويتكون إيوان القبلة من ثلاثة أروقة، والإيوان المقابل له يحتوى على رواقين، أما الإيوانان الجانبيان فكلٌّ منهما يحتوى على رواق واحد. ونلاحظ فى عقود كل رواق أنها تسير فى اتجاهين متعامدين مكونةً قبابًا منخفضة من الطوب ومحمولة على مثلثات كروية.

وتكتنف إيوانَ الصلاة قبتان، الشرقية بها جثمان كلٍّ من «الظاهر برقوق» وابنه «الناصر فرج»، أما القبة المواجهة لها ففيها رفات ثلاث سيدات من أسرة «الظاهر برقوق».

أما غُرَف الخانقاه فتوجد خلف الإيوانين الصغيرين، وتتوسط هاتين القبتين قبة ثالثة لم يوجد مثيل لها من قبل إلا فى جامع «الحاكم بأمر الله» الفاطمى.

وتحتوى الواجهة الرئيسية (وهى الغربية) لهذه المنشأة المعمارية الضخمة فى طرفيها الشمالى الجنوبى على سبيلَيْن يعلوهما كُتّابان، ويحتفظ السبيل ذو الكُتّاب الشمالى بحالته جيدًا، أما السبيل الثانى فقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميمه سنة ١٩٣٧م.

وتوجد بجوار المدخل الرئيسى الواقع بالواجهة الغربية، والمغطى بعقد طاقية محمولة على مقرنصات، مئذنتان تتكون كلٌ منهما من ثلاث دورات: الدورة الأولى مربعة، والثانية أسطوانية الشكل، أما الثالثة فمفرغة ذات أعمدة. وقد كانت هاتان المئذنتان بحالة سيئة، فقامت لجنة حفظ الآثار العربية بإعادتهما وإصلاحهما.

وأهم ما يميز هذه المنشأة هو المنبر الحجرى الذى تزينه زخارف عديدة بين هندسية ونباتية وكتابات نسخية تشبه زخارفها تلك التى بالمنابر الخشبية. وقد أهدى هذا المنبر الحجرى وكرسى المصحف الخشبى من السلطان «الأشرف أبى النصر قايتباى» لهذه المنشأة المعمارية فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م. ومما هو جدير بالملاحظة، أن سقوف أروقة الإيوانات الأربعة قد غُطيت بقبوات نصف كروية بُنيت بالآجر، ترتكز على عقود مرفوعة مدببة. وأرجل هذه العقود ترتكز على أكتاف (دعامات) حجرية ذات قواعد وتيجان مربعة الشكل.. وبدن هذه الدعامات ثمانى الشكل.

خانقاه «الأشرف برسباى»

تقع هذه الخانقاه شمال منشآت السلطان «الأشرف أبى النصر قايتباى»، وقد كانت مخصَّصة لإقامة الصوفية. وتشتمل هذه الخانقاه على حوش كبير، وبقايا قبة، وقبة كاملة لأخيه الأمير «يشبك» وأقاربه، ومصلى للشعائر الدينية، وقبة حجرية ذات طراز مملوكى.

والسلطان الملك «الأشرف برسباى» جركسى الأصل، وقد كان من المماليك، ثم تدرج فى الوظائف فى أيام سلطنة «المنصور عبد العزيز بن الظاهر برقوق»، ولكنه انتهز فرصة وجود بعض الفتن والمنازعات على تولى مقاليد الحكم وجلس عنوةً على كرسى السلطنة، وصار سلطانًا على مصر منذ سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م حتى سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م.

الوصف المعمارى

تُعد هذه الخانقاه الثانية فى سعة المساحة بعد خانقاه «فرج بن برقوق». وكما سبق ذكره، فإن هذه الخانقاه قد أنشئت لعدة أغراض، ويرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م. وقد تخرب معظم هذه الخانقاه، ولكن الأجزاء الباقية بحالتها وتفاصيلها هى المصلى وقبة «الأشرف برسباى». وحوشها الشرقى مدفون به بعض أقاربه وبعض العلماء.

وتقع الواجهة الرئيسية الحجرية لهذه الخانقاه فى الجهة الشمالية الغربية، حيث قام المعمار بتقسيمها إلى تجاويف رأسية، تشغلها من أسفل نوافذ نحاسية بمصبعات برونزية، على حين زُخرفت أعلى النوافذ بشمسيات وقمريات من الجص المعشق بالزجاج الملون. ويتوصل إلى المدخل الرئيسى عن طريق سلم بقلبتين أو بجناحين من الطريق المؤدى من الخانقاه البرقوقية إلى مدرسة السلطان «قايتباى». والمدخل ذو عقد مدائنى ينتهى من أسفل بمصطبتين. ويحتوى المدخل على فتحة باب ذى عتبة من صنجات معشقة، يليها عقد نفيس، تليه نصوص كتابية بها عبارة: (السلطان الملك «الأشرف برسباى» عز نصره).

وقد نُقش على جانبى الباب نص كتابى يحتوى على البسملة واسم منشئ هذه الخانقاه وألقابه وسنة ٨٣٥هـ (١٤٣٢م). ويُفتح الباب على دركاه، فى الجانب الشمالى منها باب معقود يؤدى إلى مصلى ذى إيوانين يتصل بينهما مجاز تؤدى نهايته الشمالية إلى باب القبة ذى الأرضية الرخامية. والقبة الكبيرة قاعدتها مربعة، تعلوها رقبة، ثم خوذة القبة. . وهى من الحجر، وقد نُقش سطحها الخارجى بزخارف هندسية جميلة بيضاء تُركت مَلْسَاء من الداخل.

أما المئذنة فتعلو المدخل الرئيسى، وينتهى جزؤها العلوى بقمة مسلوبة على هيئة قلم الرصاص العثمانية.

مدرسة السلطان «قايتباى»

تقع هذه المدرسة جنوبى تربة السلطان «الأشرف برسباى» بقرافة المماليك. وهذه المدرسة جزء من منشآت «قايتباى» فى هذه المنطقة، فهى تضم مدرسة وسبيلاً وكتابًا، وقد جمعت هذه المدرسة كل المميزات المعمارية فى عصر دولة المماليك الجراكسة بما بلغته فى فن العمارة والزخرفة من الرقى والجمال، فشهد لها علماء ومستشرقون وسائحون أجانب بعظمة بنائها وفن زخرفها، ويرجع ذلك إلى تصميمها المميز من حيث تناسب مجموعة أجزائها، ولا سيَّما القبة والمئذنة والسبيل والكُتاب، وكذلك إبداع نقوشها وزخارفها من الداخل والخارج.

السلطان «قايتباى»

هو الملك «الأشرف أبو النصر قايتباى» الجركسى المحمودى الأشرفى، ثم الظاهرى. اشتراه السلطان «الأشرف برسباى»، ثم مَلَكَهُ «الظاهر جَقْمَق» وأعتقه، فظل يترقى فى الوظائف حتى صار أتابكا، ثم ولى سلطنة الديار المصرية فى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، وبقى بها حتى وفاته سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م. وكان الشروع فى إنشاء هذه المدرسة سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، أما الفراغ منها فكان فى سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م.

الوصف المعمارى

يشتمل تخطيط هذه المدرسة على صحن مربع تتعامد عليه أربعة إيوانات، أكبرها إيوان القبلة. ويُفتح إيوان القبلة على الصحن بعقد مدبب من طراز «حدوة الفرس» كما هو الحال فى إيوان القبلة بمدرسة «الظاهر برقوق» بشارع «المعز لدين الله» (بالنحاسين). ويتوسط جدارَ القبلة محرابٌ يجاوره منبر من الخشب المطعم بالسن المدقوق بأويمة.

وتكتنف المحرابَ من جهتيه نافذتان، تبدوان من الخارج داخل تجويف مستطيل الشكل، ومن الداخل تبرزان معقودتيْن، وتعلوهما نوافذ مدببة تزخرفها فسيفساء من الزجاج الملون. أما أسقف إيوان القبلة فمن الخشب المذهب ذى الزخارف الجميلة والنقوش البديعة، والصحن أيضًا مسقوف ويعلوه منور مثمن الشكل.

ويوجد الضريح بجانب إيوان القبلة، وهو يبرز إلى حدٍّ ما عن واجهة المدرسة الجانبية. وتغطى هذا الضريح قبة حجرية محمولة على مقرنصات، وهى مزخرفة من الخارج بزخارف نباتية داخل وحدات هندسية من الحجر، فى حين نُقشت من الداخل بزخارف مذهبة ملونة، وبها شبابيك جصية.

ويقع المدخل الرئيسى بالواجهة البحرية للمدرسة، وهذا المدخل الرئيسى معقود بعقد مدائنى (أى عقد ذو ثلاثة فصوص)، أما عتبه فمن الرخام الملون المُحَلَّى بالكتابات النسخية، تغطيه مقرنصات منقوشة، وغُشِّيَتْ مصاريع الباب بالنحاس فى الجامة الوسطى والأركان الأربعة. ويقع السبيل والكُتَّاب فى الناحية الشرقية البحرية على يسار الباب. ويمتاز السبيل بأرضيته المفروشة بالرخام الخردة الدقيق. ومما هو جدير بالذكر، أن هذا السبيل يعد مفخرة المنشأة جميعها؛ إذ إن تصميمه يضاهى المقاعد ذات العقود الموجودة بقصور ڤينسيا وڤيرونا، وهى هنا تشبّه العمارة الإسلامية بالعمارة القوطية شبهًا قويًا وظاهرًا. أما المئذنة فتوجد على يمين المدخل الرئيسى، وهى تعتبر من أحسن المآذن لتناسُب أجزائها ودوراتها الثلاث فى رشاقة وإتقان.

الملحــق

تعريفات بأهم المصطلحات المعمارية
للمنشآت الأثرية.. اليهودية والمسيحية والإسلامية

الأسوار والبوابات

السور - وجمعه أسوار - هو الجدار المحيط بالمدينة. وأول سور بُنى فى القاهرة هو السور الذى أقامه القائد «جوهر الصقلى» حول مدينة القاهرة، وكان من الطوب اللبن، وفُتحت به أبواب، ولكن هذا السور قد تهدم تمامًا. فلما جاء من بعده الوزير الفاطمى «بدر الجمالى»، أقام سورًا جديدًا من الحجر، لم يبقَ منه الآن إلا جزء بسيط، وثلاثة أبواب هى باب الفتوح (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، وباب النصر (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) - وكلاهما فى الجهة الشمالية من السور - وباب زويلة (أو بوابة المتولى) (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) فى الجهة الجنوبية من السور. ومن بعده بنى «صلاح الدين الأيوبى» سورًا ثالثًا بالحجارة سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م يحيط بالقاهرة والفسطاط وقلعة الجبل، وجعل له عدة أبواب.

الأعمدة

كان بدء ظهور الأعمدة وابتكارها على أيدى قدماء المصريين. . تشهد بذلك معابدهم القديمة. وينقسم العمود إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، هى: الجزء السفلى، وهو قاعدة العمود التى يستند عليها فى الأرض. . والجزء الأوسط، وهو البدن، ويكون غالبًا من الرخام قطعة واحدة أو قطعًا أسطوانية بعضها فوق بعض. . والجزء الأعلى، وهو التاج.

ومما هو جدير بالذكر، أن معظم الأعمدة التى كان يستخدمها المسلمون فى عمائرهم كانوا ينقلونها من المبانى القديمة فى بداية الأمر، ولكنهم أبدعوا فى استخدام الأعمدة وتنسيقها فيما بعد.

الأنبَل أو الأمْبُون (فى الكنائس المسيحية)

هو منصة مرتفعة شبيهة بالمنبر فى المساجد. ويُستخدم عادةً فى الوعظ، ويُصنع غالبًا من الرخام.

الأيقونات (فى الكنائس المسيحية)

هى رسوم دينية تصوِّر السيد المسيح - عليه السلام - مفردًا أو خلال رحلة حياته، كما تمثل كذلك أشهر القدِّيسين المبجَّلين فى الدين المسيحى. . ولا تُرسم مطلقًا لتصوير الأشخاص العاديين.

الإيـــوان

«الإيوان» كلمة فارسية الأصل، ومعناها: بيت مرتفع البناء من الآجر، مفتوح فى الصدر، مثل إيوان كسرى. . ومن ثم فإن الإيوان فى العمارة الإسلامية، وبخاصة فى المدارس، هو عبارة عن غرفة أو صالة ذات سقف تُفتح فى ضلع واحد على الصحن بعقد كبير. ويلاحظ أن أرضية الإيوان عادةً ما تكون مرتفعة عن سطح الأرضية.

البائكة

هى المساحة المحصورة بين صفيْن من الأعمدة، وتحمل عقودًا فى العادة.

البلاطة

هى المسافة ما بين العمودين.

البيما (فى المعابد اليهودية)

هى منبر - أو منصة - من الرخام يقف عليها الحاخام عند تلاوة الصلوات.

البيمارستان

هى كلمة فارسية من مقطعين: «بيمار» وتعنى مريضًا، و«ستان» وتعنى مكانًا أو محلاً.. وبالمعنى العام فإن كلمة «بيمارستان» تدل على مكان معالجة المرضى، أو بيوت المرضى (المستشفى)، وليست - كما هو معروف لدينا الآن - مستشفيات الأمراض العقلية فقط. ومن أشهر هذه البيمارستانات، ذلك الذى أنشأه السلطان الملك «المنصور قلاوون» فى العصر المملوكى وخصصه لعلاج كافة الأمراض، ويقع الآن فى شارع «المعز لدين الله» بحى الجمالية.

التكيـــة

بعد أن اختفى لفظ «خانقاه» فى العصر العثمانى، ظهر بدلاً منه لفظ «تكية». وقد قامت التكايا بنفس دور الخانقاوات والأربطة، كما أدت دورًا آخر هو تطبيب المرضى وعلاجهم، وهو الدور الذى قامت به البيمارستانات. وتصميم التكية يتكون من صحن أوسط مكشوف به حديقة وفسقية، تحيط به أربع ظلات من جميع الجهات هى عبارة عن رواق واحد مفتوح على الصحن بعقود محمولة على أعمدة، وتغطى الظلات قبابٌ كروية صغيرة.

الحرملك

يطلق لفظ «الحرملك» على الطابق العلوى المخصص للحريم فى البيوت الإسلامية.

الحـــوش

هو صحن أو فناء الدار، ويلى عادةً المدخل المنكسر ودركاه الدخول، وتشرف عليه القاعة وغرف الدار جميعها. وغالبًا ما تحتوى الدار على فسقية أو نافورة. ويعمل الحوش على التهوية والإضاءة وتوزيعهما على بقية وحدات الدار.

الخان (الفندق)

«الخان» كلمة فارسية تعنى «الفندق». ويتكون الخان من وحدات معمارية، أهمها الصحن (الفناء المكشوف) الذى تحيط به غرف مفتوحة عليه فى الدور الأرضى يطلق عليها الحواصل، وثمة غرف أخرى أيضًا بالدور الأرضى، ولكنها تطل على الشارع الخارجى وتؤجَّر كحوانيت للتجار، أما الغرف بالطوابق العليا فخُصِّصَتْ للسكنى. ومن أهم الأمثلة الباقية بمدينة القاهرة: خان الخليلى (٩١٧هـ/ ١٥١٢م).

الخـــانقاه

«الخانقاه» - أو «الخانكاه» - كلمة فارسية تعنى دار التعبد، وتعتبر من المنشآت التى كانت مخصصة لإيواء المتصوفة والمنقطعين للعبادة، وكانت تسمى فى الدولة العثمانية بالتكايا (ومفردها تكية). وقد انتشرت هذه المؤسسات فى مختلف الأقطار الإسلامية، ولا سيَّما مصر وإيران.

الدعامة

هى عنصر معمارى يَدْعُم السقف كالعمود، ولكنها تختلف عن العمود فى أنها تتكون من كتلة واحدة مستطيلة الشكل، ضخمة الحجم، دون قاعدة أو تاج.

دكّة المُبَلِّغ

هى منصة مرتفعة محمولة على أعمدة، كانت توضع فى المساجد على نفس اتجاه المحراب برواق القبلة، وتُصنع عادةً من الخشب أو الرخام، ويُصعد إليها بدَرَج. . وكانت مخصصة لجلوس «المُبَلِّغ»؛ وهو مَن يردّد نداءات الصلاة بعد الإمام بصوت مرتفع ليسمعها المصلون الواقفون فى الصفوف الخلفية بعيدًا عن الإمام.

الرِّبـــاط

هو نوع من المبانى العسكرية كان يسكنه المجاهدون على الحدود ليدافعوا عن حدود الإسلام بحد السيف. والتكوين المعمارى للرباط أقرب إلى الحصن؛ فقوامه بناء مستطيل الشكل توجد فى أركانه أبراج المراقبة. وقد أصبحت الروابط فيما بعد بيوتًا للعبادة والتقشف يسكنها الصوفية.

الـــرواق

هو المساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أو الدعامات تكون غالبًا موازية لجدار القبلة، ولكن ثمة أروقة عمودية على رواق القبلة، وفى هذه الحالة تُعرف بالمجاز القاطع، وأبرز الأمثلة على ذلك فى المساجد الإسلامية بمصر توجد فى جامعى الأزهر و«الحاكم بأمر الله» من العصر الفاطمى.

السبيل والكُـتّاب

يعتبر السبيل والكتاب من العمائر المدنية الملحقة بمنشآت دينية مثل الجوامع والمدارس والخانقاوات، وكانا يشغلان مكانًا مهمًا من المبنى يتمثل فى أحد أركانه، بحيث يقع السبيل بجوار المدخل. ويتكون السبيل من ثلاث طبقات: الأولى هى الصهريج، ويوجد فى باطن الأرض لتخزين المياه.. والثانية أعلى من مستوى سطح الأرض، وبها السلسبيل الذى يقوم بتوزيع المياه.. أما الثالثة فهى المكتب أو «الكُتّاب».

الســـلاملك

هو الطابق الأرضى المخصص للرجال فى البيوت الإسلامية.

الشرافات (الشراريف) أو العرائس

هى أصلاً عناصر معمارية من مكونات العمارة الدفاعية فى الأسوار والأبراج والقلاع، كانت تُنشأ ليستتر خلفها المحاربون ورماة السهام اتقاءَ هجمات

الأعداء وأسلحتهم، ولكنها أدخلت على عمارة المساجد كشكل من أشكال التزيين.

الصحن

هو مساحة مربعة أو مستطيلة على شكل فناء مكشوف (أى بدون سقف) تقع بوسط المسجد، وتحيط بها فى جوانبها الأربعة ظلات أربع، أكبرها ظلة القبلة. ويلاحظ أن الصحن عادةً ما يكون مكشوفًا نظرًا لظروف البيئة والمناخ الذى يُبنى فيه المسجد.

الضريح

يعتبر الضريح من العمائر التى اعتُنى بتشييدها فى هيئة فاخرة لتكون مدفنًا لأهل الفضل من المسلمين، ويسمى أحيانًا قبة أو تربة، وكان صاحب الضريح يدفن فيه، وتوضع فوقه تركيبة من الحجر أو الآجر أو تابوت من الخشب، ثم يغطى بقبة. وعادة ما كانت الأضرحة تبنى للسلاطين والأمراء ملحقة بالجوامع أو المدارس.

ويعتبر مشهد «آل طباطبا» من العصر الإخشيدى أقدم مثال للأضرحة فى مصر. ومن العصر الفاطمى ظهر ما يعرف بالمشهد، وهو مدفن يخصص للأولياء أو آل بيت الرسول ﷺ، ومثال ذلك مشهد «الجيوشى» بالمقطم (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، ومشهد السيدة «رقية» (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)، ومن العصر الأيوبى: قبة وضريح «الصالح نجم الدين أيوب».

الظلة

هى تلك المساحة، أو ذلك الجزء الذى يلى الصحن ويحيط به فى جوانبه الأربعة، ويغطَّى دائمًا بسقف غالبًا ما يكون مسطحًا. وعادةً ما تكون ظلة القبلة هى أكبر الظلات المحيطة بالصحن.

العقـــود

استخدم المعمار المسلم العديد من أشكال العقود فى تزيين عمائر مدينة القاهرة. والعقد عبارة عن قوس مُشكَّلة من مجموعة من الأحجار المتراصة، المُعَشَّق بعضها فى بعض، حتى يستدير العقد من أعلاه لينزل من الناحيتين على كتف البناء. ويسمى الطرفان برجْلَى العقد، أما أحجار القوس فيسمَّى كلٌ منها «فقرة» أو «صنجة». ومن الأنواع المهمة للعقود التى استُخدمت بكثرة فى عمائر القاهرة الإسلامية:

- العقد نصف الدائرى: وهو على هيئة نصف دائرة، ويوجد بعمائر العصر العثمانى.

- العقد المدبب: ويعتبر من أمتن أنواع العقود، ويوجد فى عقود جامع «أحمد ابن طولون».

- العقد حدوة الفرس: وهو على هيئة حدوة الحصان، وظهر فى عمائر القاهرة الفاطمية.

- العقد المُفَصَّص: وهو على هيئة عقود صغيرة مُفَصَّصَة الشكل.

الفســقية

توجد الفسقية بوسط الصحن فى المدرسة أو الجامع، وتقوم عليها قبة ترتكز على أعمدة، وتستخدم كميضأة للوضوء. ومن أروع الأمثلة للفسقية، تلك التى تتوسط صحن مدرسة السلطان «حسن» (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، والفسقية الموجودة بصحن جامع «أحمد بن طولون»، وهى تعود إلى عصر السلطان «حسام الدين لاچين» (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م).

القاعــة

تعتبر القاعة من أهم الوحدات المعمارية فى الدور والبيوت الإسلامية. وعادةً ما تحتوى الدار الواحدة على أكثر من قاعة. وتقع القاعة فى الطابق

العلوى، وهى مستطيلة الشكل، وتشتمل على إيوانين، بينهما فى الوسط «درقاعة».

القصر والمنزل

لم يصلنا طراز البيت المصرى الإسلامى بشكل متكامل نسبيًا إلا فى بيوت من العصر العثمانى. ومن هذه البيوت أو تلك المنازل التى ما زالت باقية فى مدينة القاهرة من ذلك العصر: منزل «آمنة بنت سالم» (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، ومنزل الكريدلية (١٠٤١هـ/ ١٦٩٣م)، ومنزل «السحيمى» (بدرب الطبلاوى) (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م). ويتكون البيت من الدور الأرضى ـ وهو السلاملك ـ وبه غرف الرجال وغرف الاستقبال، فى حين يحتوى الطابق العلوى على الحرملك، وهو مخصص لسكنى السيدات والعائلة.

وتتلخص العناصر المعمارية فى أى بيت إسلامى فى المدخل المنكسر، ثم دركاه الدخول، والحوش (الفناء)، والمقعد، ثم القاعة وغرف المعيشة وعناصر الخدمة. وأغلب البيوت الإسلامية تحتوى على فسقية وحديقة وطاحونة لطحن الغلال وساقية وإسطبل.

أما عن أهم القصور التى لا تزال باقية فأغلبها من العصر المملوكى، وهى: قصر الأمير «قوصون» (يشبك من مهدى) خلف مدرسة السلطان «حسن». . وقصر الأمير «بشتاك»، ويقع فى بين القصرين. . وبقايا قصر «قنصوه الغورى» بالصليبة.

القــلاع

القلعة تعنى الحصن، وهى من المنشآت الحربية أو العسكرية التى نالت عناية واهتمام سلاطين وأمراء المسلمين. ومن أهم القلاع الإسلامية بمصر، قلعة الجبل التى أسسها «صلاح الدين الأيوبى» على ربوة من جبل المقطم، ثم أكمل بناءها أخوه «الملك العادل».

المئـــذنة

عرف المسلمون المكان الذى يعلَن منه الأذان باسم «المئذنة» أو «المنارة» (وهذه التسمية هى الشائعة فى مصر وسوريا)، أما أهل شمال إفريقيا فيُطلقون عليها الصومعة.. وثمة نوع آخر من المآذن ظهر فى العراق له سلم من الخارج يلتف حول البدن يطلقون عليه الملوية.

وقد كانت أولى المآذن فى مصر بجامع «عمرو بن العاص»، ولكنها تهدمت. وصُمِّمَت المئذنة الملوية بجامع «أحمد بن طولون» على غرار مآذن العراق، أما مئذنة مشهد «الجيوشى» بالمقطم فهى أقدم مئذنة فى مصر من العصر الفاطمى. ومن أروع المآذن الأيوبية: مئذنة مدرسة «الصالح نجم الدين أيوب» بشارع «المعز لدين الله»، والتى تنتهى قمتها بشكل مبخرة، وكذلك مئذنة مدرسة «قلاوون» من العصر المملوكى. وفى هذا العصر الأخير، ظهرت مآذن بمصر ذات رءوس مزدوجة، مثل مئذنة «قنصوه الغورى» بالجامع الأزهر.

وفى العصر العثمانى بمصر، امتازت المآذن ببساطتها واستطالتها ورشاقتها مثل قلم الرصاص أو الشمعة، ومن أمثلة ذلك: مآذن جامع «محمد على» بالقلعة، ومئذنة جامع «سليمان أغا السلحدار» بشارع «المعز لدين الله».

المجاز القاطع

هو صف من العقود مصفوف عموديًا على جدار القبلة، غرضه تعيين موضع القبلة للداخل إلى المسجد، وقد يقسم المساجد أحيانًا إلى قسمين كما فى جامع «عمرو بن العاص»؛ فالمجاز القاطع بهذا الجامع يقسمه إلى قسمين: قسم قبل زيادة «عبد الله بن طاهر»، وقسم آخر بعد زيادته.

المدرســة

وتعتبر من العمائر الإسلامية التى شُيدت لتدريس شعائر الدين. وأول مدرسة فى مصر كانت فى العصر الأيوبى، وهى المدرسة الكاملية بشارع المعز

(بين القصرين) للقضاء على مذهب الدولة الفاطمية الشيعى. وثمة مدرسة أخرى للسلطان «حسن» بميدان القلعة، وهى متكاملة العناصر المعمارية والزخرفية.

المحـــراب

علامة لتعيين جدار القبلة واتجاهها الذى يجب أن يتجه إليه المسلمون فى صلاتهم. ولا يتسع المحراب إلا لشخص واحد هو الإمام. ويتكون المحراب المجوف بمدينة القاهرة من تجويف ينتهى من أعلاه بطاقية مكسوة بأشرطة رخامية، ويحيط به عقد يتقدم طاقية المحراب ويرتكز على عمودين رخاميين يتصدران صدر المحراب، وهو يُزخرف عادةً بأشكال هندسية وكتابات خطية وعناصر نباتية. ومن أروع الأمثلة للمحاريب المملوكية: محراب قبة (ضريح) «المنصور قلاوون» بشارع «المعز لدين الله»، ومحراب مسجد السلطان «حسن» بميدان «صلاح الدين» بالقلعة.

المســـجد

يعتبر المسجد من أهم المبانى والعمائر التى تمتاز بها العمارة الإسلامية، ويحتل المكانة الأولى بينها، ولهذا فقد ارتبطت الفنون الإسلامية بعمارة المسجد وأثاثه وشعائره؛ فالمساجد بيوت الله، وتعميرها من أفضل القُرُبَات إلى الله، ومن ثم فقد علت منزلة المسجد عند المسلمين. وأولى المساجد أخذت بساطتها وتخطيطها من عمارة مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة.

ويُعد المسجد فى العصور الإسلامية الأولى ظاهرة سياسية مهمة، فكل إقليم كان يحتوى على مسجد جامع يمثل مسجد الدولة السياسى، حيث يُذكر فيه اسم الخليفة فى خطبة الجمعة كشارة من شارات الخلافة؛ لأن عدم ذكر اسمه يعنى خلعه.

ومما هو جدير بالذكر، أن كلمة «مسجد» كانت تدل فى البداية على أماكن

العبادة الإسلامية، وهى كلمة مشتقة من السجود، ثم قيل «المسجد الجامع» و«مسجد الجماعة» و«المسجد الأعظم». . كما كانت صلاة الجمعة تقام فى مسجد واحد فى المدينة، وهو المسجد الجامع أو مسجد الجمعة أو الجامع.

المشـــربية

هى عبارة عن حجاب أو حاجز من خشب الخرط يوضع أمام نوافذ بيوت وقصور القاهرة، ويتكون بتجميع قطع صغيرة من الخشب المخروط بأشكال هندسية بديعة.

وتعتبر المشربيات من الظواهر المعمارية التى امتازت بها دور وبيوت وقصور القاهرة عن غيرها من المدن.

أما عن تسمية المشربية فهناك أكثر من رأى، منها: أن التسمية جاءت من اشْرَأبَّ يَشْرئبُّ مُشْرَئب؛ أى يطل من الشىء، ومنها جاءت التسمية. . وهناك من يقول إنَ التسمية مأخوذة من كلمة مَشْرَب بمعنى مكان الشُّرْب أو مَشْربَه، وهى الغرفة فى الطابق العلوى التى تقدَّم بها المشروبات.

المقعـــد

يمكن الوصـول إلى المقـعـد عن طريق سلم بالفناء أو الحـوش، وهو يشـبـه الاستراحة الصيفية؛ أى إنه عبارة عن جلسة كبيرة مفتوحة بعقود على الفناء، وعادةً ما توجد به خزائن حائطية (بلاكارات) لوضع الأوانى الخزفية للزينة.

المكفاة (فى المعابد اليهودية)

هى بئر تُستخدم لأغراض التطهير قبل دخول المعبد، ولا سيَّما للنساء، وتقع خارج مبنى المعبد.

المنبـــر

هو عبارة عن مقعد أو كرسى ذى درجات ثلاث، كان النبى ﷺ يجلس على الدرجة العليا واضعًا قدميه الشريفتين على الدرجة الثانية، وكان يجلس نفس الجلسة من بعده الخليفة «أبو بكر الصديق» - رضى الله عنه - ولكن الخليفة أمير المؤمنين الفاروق «عمر بن الخطاب» كان يجلس على الدرجة الأولى واضعًا قدميه على الأرض وهو خليفة المسلمين.

وعندما اتخذ «عمرو بن العاص» منبرًا فى جامعه بالفسطاط، أمره الخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أن يكسره، ولكن لم يلبث أن ذاع استخدام المنابر على مر العصور الإسلامية.

ويتكون المنبر من باب المقدم، وباباه الجانبيان هما بابا الروضة، وجانباه هما الريشتان، ثم درجات السلم، تليها جلسة الخطيب، ثم قمة المنبر. وهو يُصنع عادةً من الخشب المطعم بالصدف والعاج فى حشوات خشبية وأطباق نجمية. . مثال ذلك: المنبر الذى يوجد بجامع «أحمد بن طولون». وهناك منابر رخامية من العصر المملوكى، من أبدعها منبر مدرسة السلطان «حسن». وثمة منابر حجرية كذلك، مثل المنبر الذى أنشأه السلطان «قايتباى» لخانقاه «فرج بن برقوق» بصحراء المماليك.

المينورا (فى المعابد اليهودية)

هو شمعدان ذو ٧ أطراف يوضع على جانبى الهيكل، ويمثل الأيام الستة التى خلق الله فيها العالم، إضافةً إلى اليوم السابع الذى استراح فيه الله حَسَب العقيدة اليهودية (تَنَزَّهَ سبحانه عن ذلك)!

نجمة «داوود» (فى الآثار اليهودية)

هى نجمة زخرفية سداسية الرءوس، تُعتبر رمزًا لكل ما هو يهودى.

وثمة آراء متعددة فيما يتعلق بشكلها وتكوينها، منها :

ـ أنها تمثل شكل درع سيدنا «داوود» التى استخدمها فى نزاله مع «جالوت» .

ـ أنها تمثيل لاندماج دلتا نهر النيل مع دلتا نهر الفرات (الحلم اليهودى الكبير) .

الهيكل (فى الكنائس المسيحية)

هو الحجاب ـ أو الحاجز ـ الذى يفصل المذبح (أقدس جزء بالكنيسة) عن منطقة الصحن التى يجلس بها المصلون .

الوكــالة

هى مبنى مخصص لإقامة التجار القادمين من مختلف البلاد والأقاليم الإسلامية، وكذلك لحفظ البضائع الخاصة بهم حتى يتم بيعها .

وهذه الوكالات تمتاز بضخامتها المعمارية وعظمتها الزخرفية . ومن أبدع الوكالات التى لا تزال باقية على حالتها : وكالة «الغورى» بحى الأزهر .

أهم مراجع الدراسة

- **الآثار الإسلامية/** د. حسن الباشا ـ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.

- **الآثار القبطية فى وادى النيل/** سومرز كلارك، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مراجعة وتقديم د. جودت جبرة ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

- **آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين/** د. محمد محمد الكحلاوى ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

- **الآثار المصرية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى/** د. مصطفى عبد الله شيحة ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٩٢م.

- **الأزهر فى ألف عام/** بيارد دودج، ترجمة د. حسين فوزى النجار ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- **أهم الآثار الإسلامية منذ الفتح العربى حتى العصر الفاطمى/** د. نعمة أبو بكر الحسينى ـ القاهرة (د. ن)، ٢٠٠٧م.

- **تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة/** حسن عبد الوهّاب - بيروت: دار أوراق شرقية، ١٩٩٣م.

- **تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى/** د. جمال الدين الشيال - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠م (جزءان).

- **دراسات فى العمارة والفنون القبطية/** د. مصطفى عبد الله شيحة - القاهرة: مطابع هيئة الآثار المصرية.

- **دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة/** د. جاب الله على جاب الله - القاهرة: مطابع المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠م.

- **الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية فى القاهرة/** د. أبو الحمد محمود فرغلى - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٦م.

- **الدولة الفاطمية فى مصر: تفسير جديد/** د. أيمن فؤاد سيد - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٢م.

- **العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة/** د. فريد شافعى - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- **الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقيا ومصر واليمن/** د. عبد الله كامل موسى عبده - القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م.

- **القاهرة، تاريخ حاضرة/** أندريه ريمون، ترجمة لطيف فرج - القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.

- **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون/** د. سعاد ماهر محمد - القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٦م (خمسة أجزاء).

- **المعابد اليهودية ودورها فى حياة اليهود بمصر/** د. النبوى جبر سراج - القاهرة، د. ن، د. ت.

- **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية/** د. حسن الباشا - القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م.

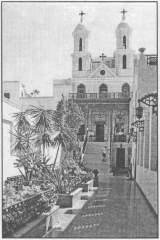
* هذا إلى جانب المواقع المتخصصة عن آثار القاهرة القبطية والإسلامية بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وهى كثيرة ومتنوعة لا يحصيها عدّ؛ ولهذا تعذّر إدراجها بهذه القائمة.

الصــــور

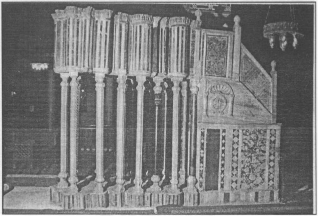
الكنيسة المُعَلَّقة



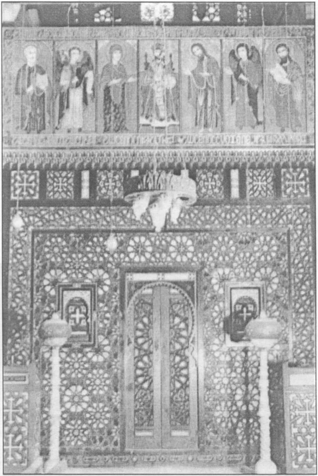
البوابة الخارجية للكنيسة



مبنى الكنيسة من الخارج، تعلوه المنارتان الرئيسيتان.

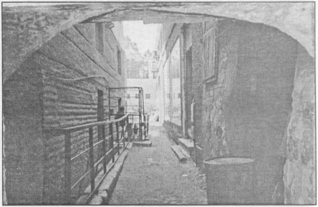


أنبل الوعظ الرخامي.

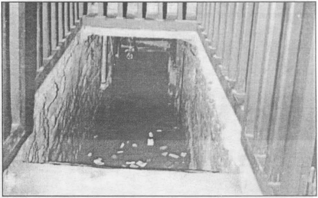


الهيكل الرئيسي وحامل الأيقونات.

كنيسة «أبي سَرْجَة»



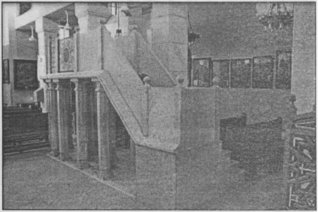
الطُّرْقَة المؤدية إلى مدخل الكنيسة.



مغارة أثرية قديمة، يقال إن السيد المسيح وأمه السيدة «مريم» العذراء ــ عليهما السلام ــ احتميا بها إبان رحلتهما بأرض مصر.

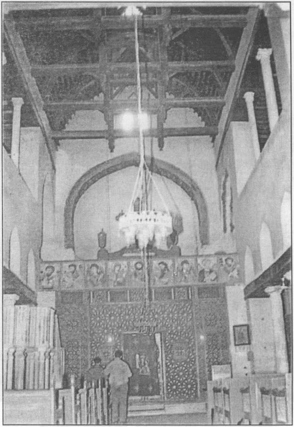


الكنيسة من الداخل.

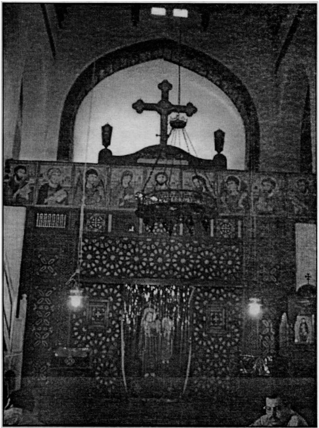


أنبل الوعظ الرخامي.

كنيسة القَدِّيسَة ــ أو السِّتّ ــ «بربارة»

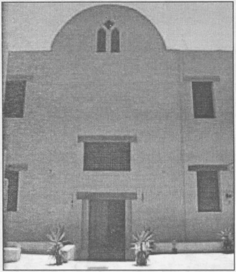


الكنيسة من الداخل.



الهيكل الرئيسي وحامل الأيقونات.

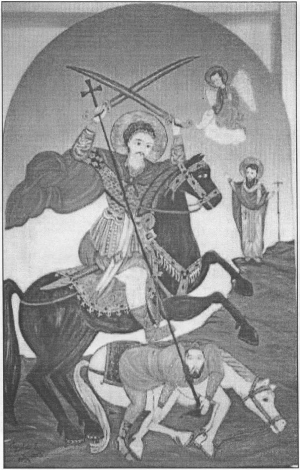
كنيسة «أبي سيفين»



مبنى الكنيسة من الخارج.

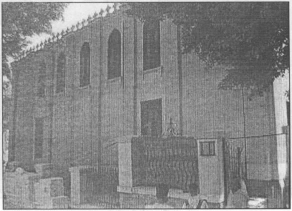


الكنيسة من الداخل.

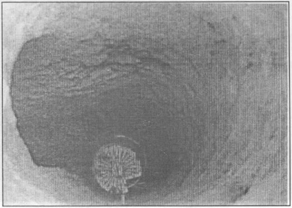


صورة جدارية (إفرسك) للقدّيس «أبي سيفيْن».

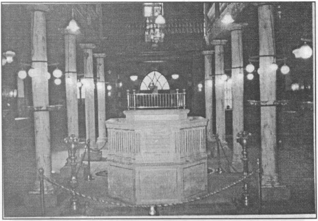
معبد «بن عِزْرَا»



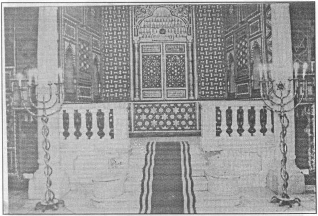
مبنى المعبد من الخارج.



جُبّ التطهير الأثرية (المكفاة) الواقعة خلف المعبد.



منصة الوعظ الرخامية (البيما).

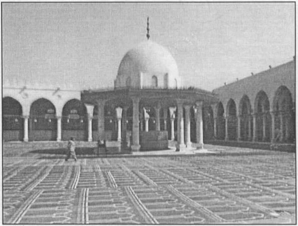


هيكل المعبد بزخارفه ذات الطابع الإسلامي، وعلى جانبيْه شمعدانا «مينورا».

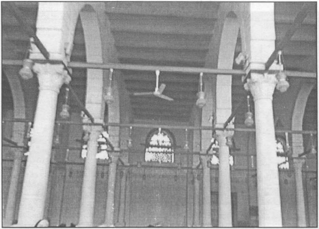
جامع «عمرو بن العاص»



الواجهة الرئيسية للجامع، تعلوها مئذنة «مراد بك»، ويتوسطها المدخل.



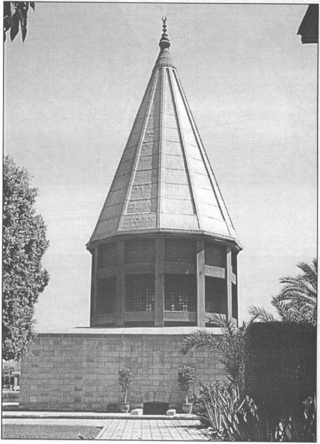
صحن الجامع، وفي صدارته فسقية حديثة الإنشاء.



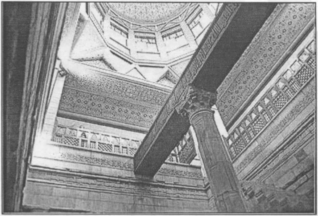
أروقة المسجد وعقوده.



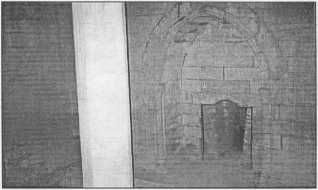
محراب «سلار» بعد ترميمه وتجديده، ومنبر خشبي حديث الصنع.



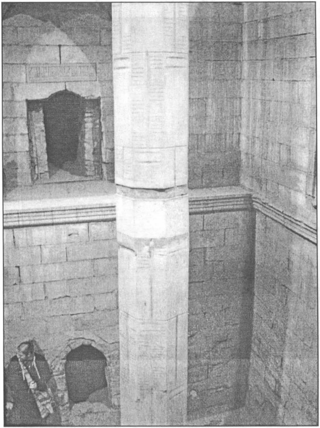
القبة المثلثة التي تعلو المقياس.



مقياس النيل من الداخل.

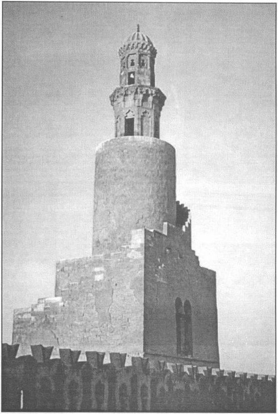


مَنْفَذ الماء إلى جوف المقياس.

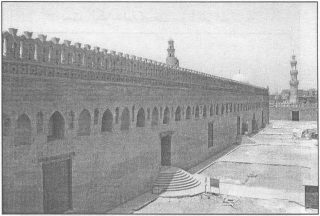


عمود المقياس، وعليه علامات القياس لتحديد قَدْر ارتفاع النيل.

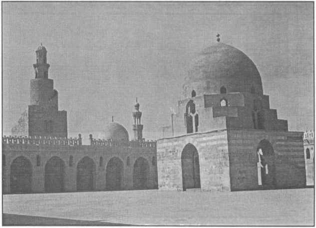
جامع «أحمد بن طولون»



مئذنة الجامع ذات الطراز المعماري الفريد،
والتي تحاكي مئذنة مسجد «المتوكّل» الـمَلْوِيَّة بسامَرّاء.

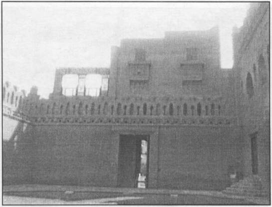


الواجهة الرئيسية للجامع، تَتَخَلَّلُها مَدَاخِلُه.

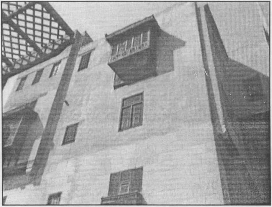


صحن الجامع، وفى صدارته فسقية السلطان «لاچين السيفى».

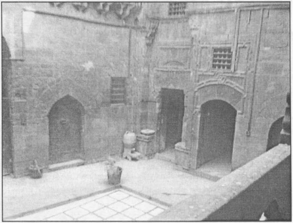
بيت الكريدلية (متحف سِير «جاير أندرسن»)



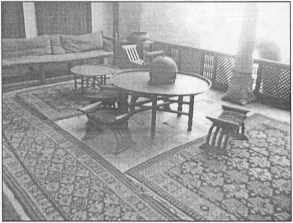
المدخل المؤدى إلى البيت من جهة جامع «ابن طولون».



جانب من بيت الكريدلية، تبدو به المشربيات والنوافذ.



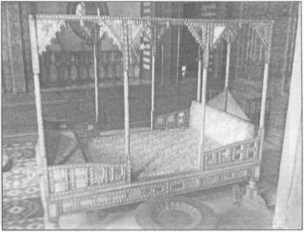
صحن البيت.



المقعد.

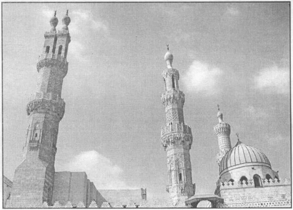


فسقية فسيفسائية تتوسط إحدى قاعات الدار.

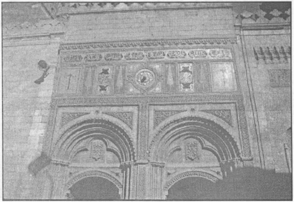


سرير مزخرف يقع بالقاعة الدمشقية.

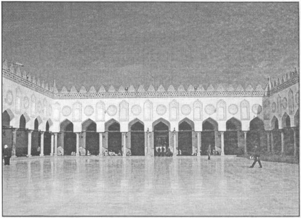
الجامع الأزهر



مآذن الجامع.



باب المُزَيِّنين.. وهو المدخل الرئيسي للجامع.



صحن الجامع وعقوده.

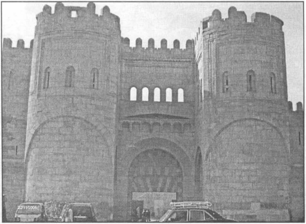


أروقة الصلاة داخل الجامع.

أبواب القاهرة الفاطمية



باب النصر

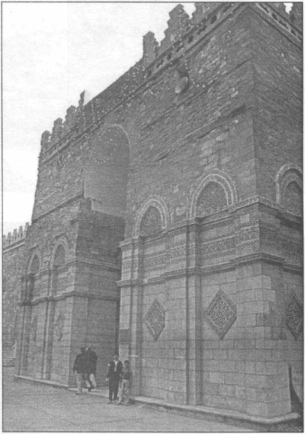


باب الفتوح

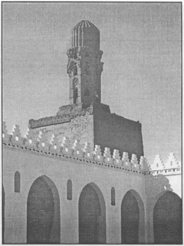


باب زُوَيْلَة، تعلوه مئذنتا جامع «المؤيَّد».

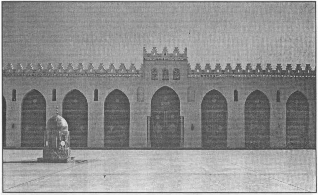
جامع «الحاكم بأمر الله» الفاطمي (الجامع الأنْوَر)



المدخل الرئيسي للجامع.

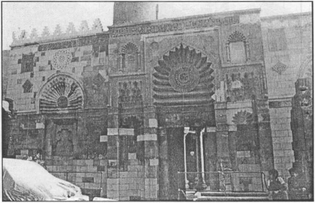


إحدى مئذنتي الجامع (المئذنة الجنوبية).

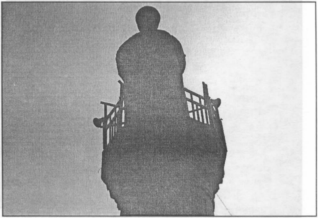


صحن الجامع، وبصدارته بئر آلية حديثة لتزويد المتوضئين بالماء.

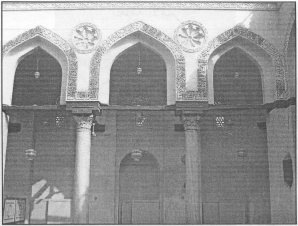
الجامع الأقمر



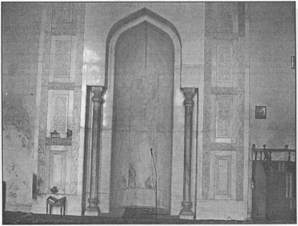
واجهة الجامع، يتوسطها مدخله الرئيسي.



مئذنة الجامع.



صحن الجامع وعقوده.

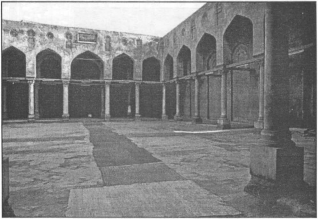


المحراب الفاطمي القديم.

جامع «الصالح طلائع»

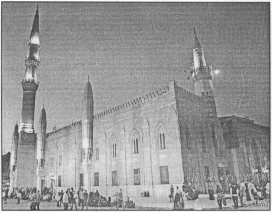


منظر عام للجامع من أعلى.

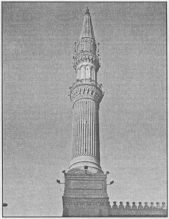


صحن الجامع وعقوده.

المشهد الحسيني



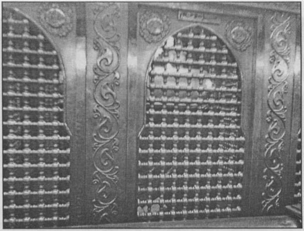
واجهة الجامع.



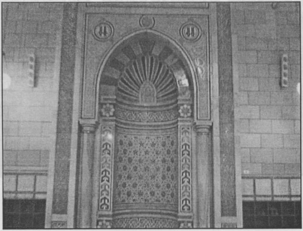
مئذنة الجامع الجديدة، أما المئذنة القديمة فتعلو الباب الأخضر.



الجامع من الداخل.

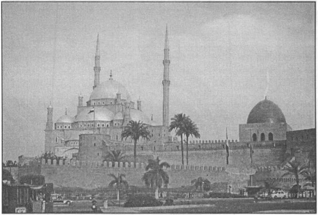


المقصورة الفضية لضريح الإمام «الحسين بن عليّ» رضي الله عنهما.

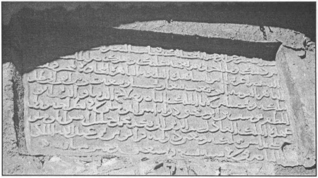


محراب بالجامع.

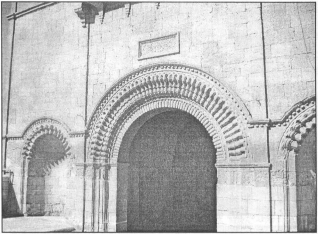
قلعة «صلاح الدين»



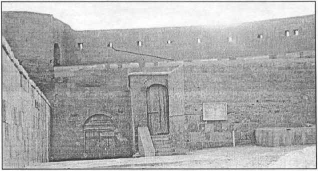
أسوار القلعة وأبراجها كما تبدو للناظر إليها من ميدان «صلاح الدين»، ويظهر في الصورة مسجدًا «الناصر محمد بن قلاوون» و«محمد علي باشا الكبير» الواقعان بصدارة القلعة.



النص التذكاري لتأسيس القلعة.

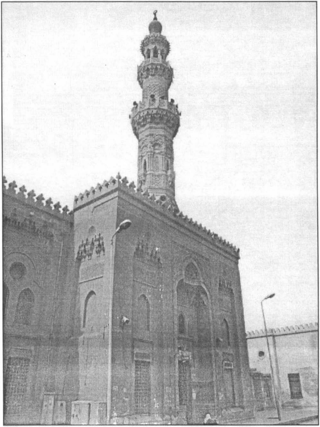


الباب الجديد بالقلعة.

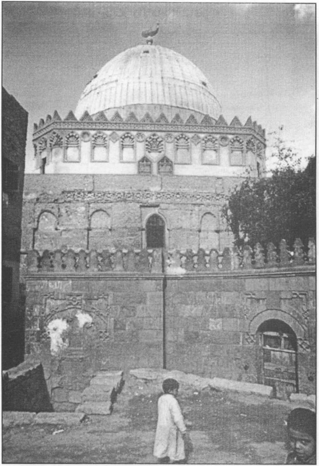


بئر يوسف. صورة من الخارج.

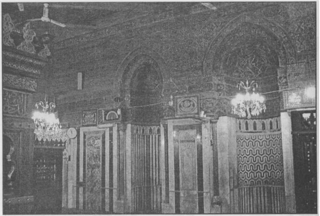
جامع «الإمام الشافعي»



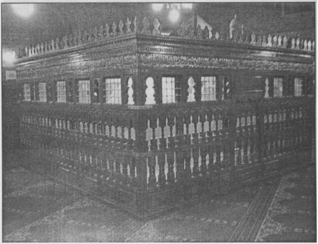
واجهة الجامع، تعلوها المئذنة، ويتوسطها المدخل الرئيسي.



صورة من الخارج لقبة «الإمام الشافعي» والعشاري فوقها.

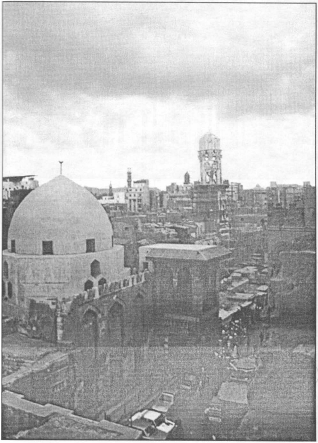


محاريب القبة.



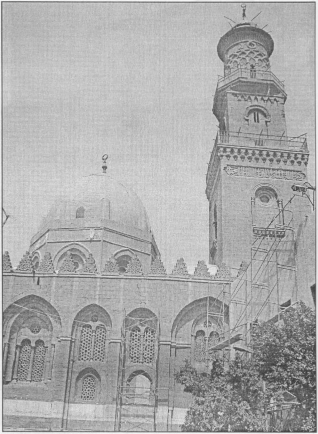
المقصورة الخشبية لضريح الإمام «الشافعي».

المدرسة الصالحية

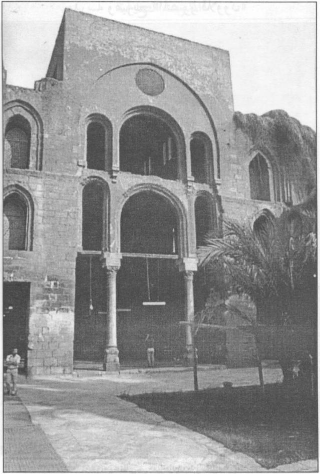


صورة من أعلى لإظهار الواجهة والمئذنة والقبة.

مدرسة وضريح «المنصور قلاوون»

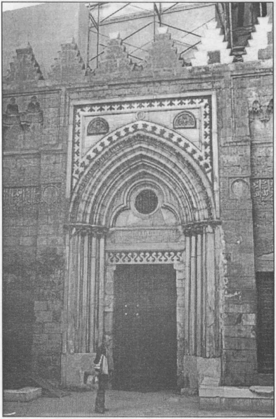


واجهة المدرسة، تعلوها المئذنة والقبة.

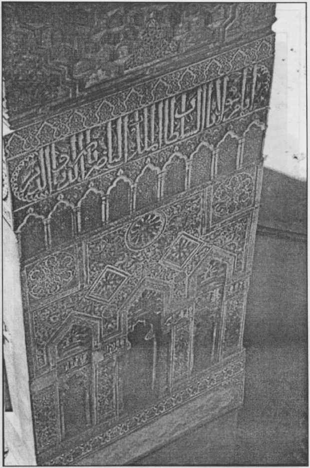


صحن المدرسة.

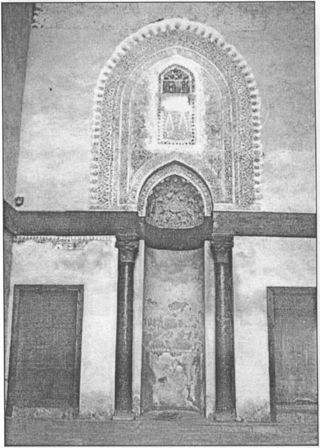
مسجد ومدرسة «الناصر محمد بن قلاوون»



مدخل المدرسة.

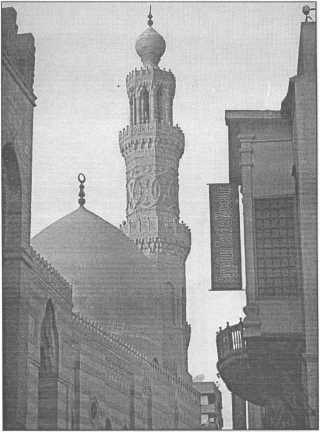


مئذنة المدرسة، وتبدو بها الزخارف ذات الطابع الأندلسي.

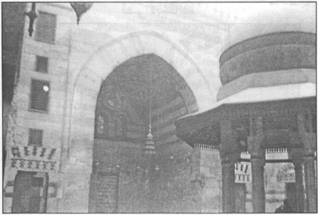


محراب المدرسة الأصلى، ويقع بإيوان القبلة.

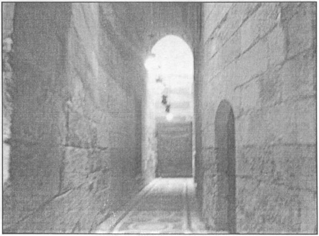
مدرسة وخانقاه السلطان «برقوق» بالجمالية



المنارة والقبة.

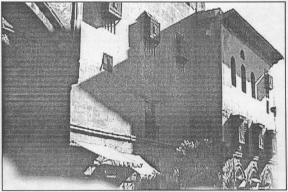


ثريا نحاسية تتدلى من سقف أحد الأواوين، وفسقية تتوسط صحن الجامع.

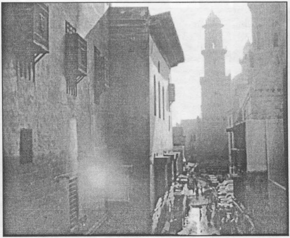


الطرقة المؤدية إلى الصحن.

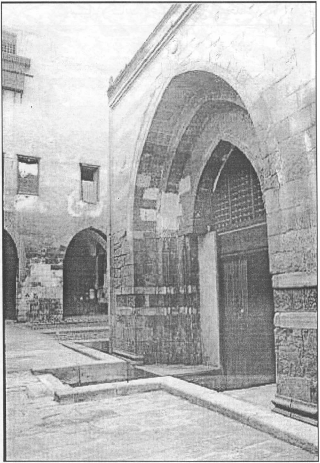
قصر «بشتاك»



واجهة القصر.

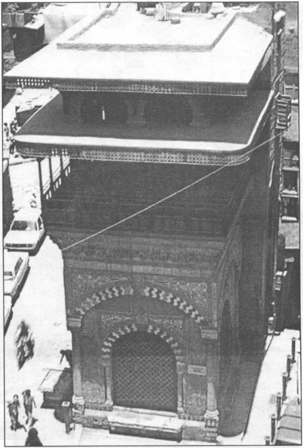


جانب القصر المطل على شارع «المعز».



صحن القصر وبابه المؤدي إلى داخله.

سبيل وكُتّاب «عبد الرحمن كتخدا»



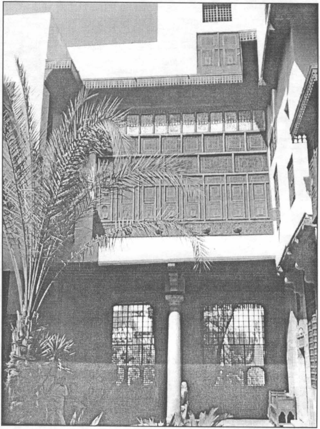
واجهة السبيل والكُتّاب.



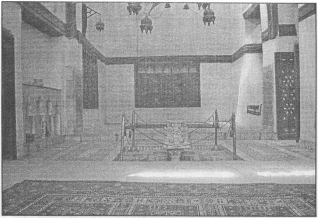
لوحة ملونة تمثل الحرم المكى الشريف وما حوله من بقاع مكة المكرمة، وتقع داخل السبيل.



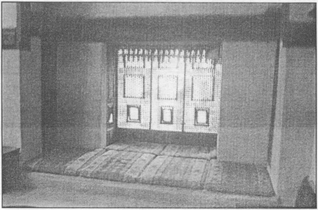
واجهة البيت المطلة على الدرب الأصفر.



التختبوش.

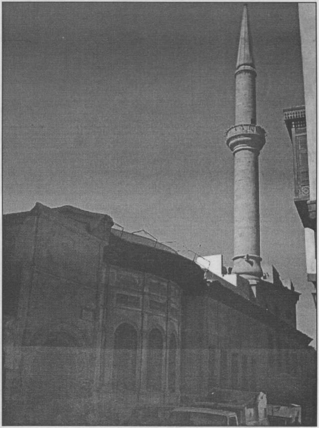


القاعة الرئيسية بالبيت.

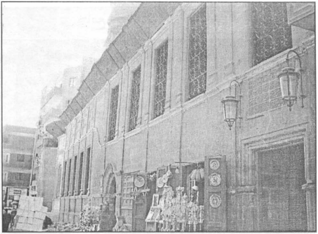


مشربية من خشب الخَرْط بإحدى قاعات البيت.

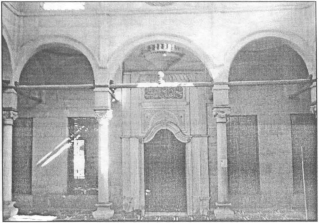
جامع «سليمان أغا السلحدار»



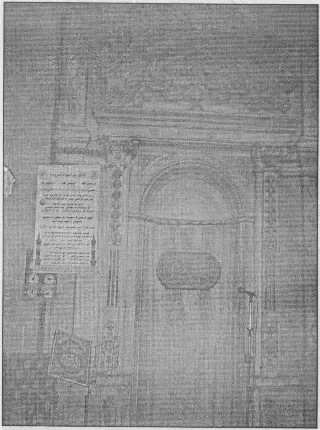
واجهة الجامع المطلة على شارع «المعز»، ويبدو السبيل لاصقًا بها.



الواجهة والمدخل، وتُرى الحوانيت الموجودة أسفل الجامع.

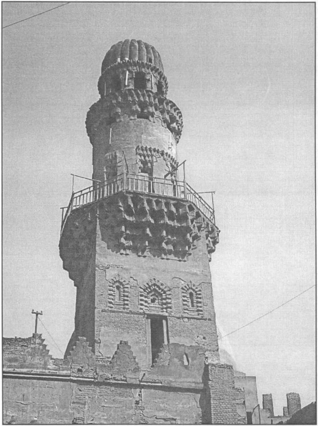


الجامع من الداخل.

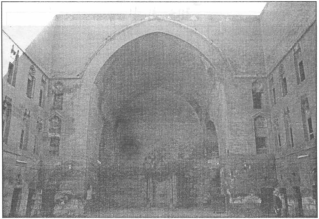


محراب الجامع وزخارفه باروكية الطراز.

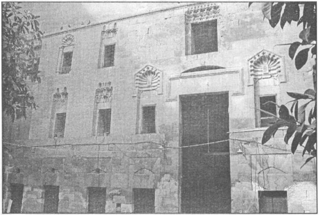
خانقاه السلطان «بيبرس الجاشنكير»



المئذنة.

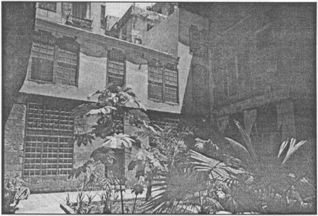


إيوان القبلة.

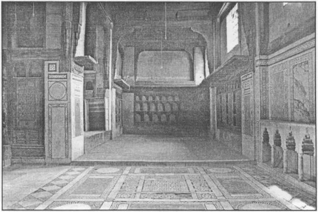


خلاوى الصوفية.

المسافر خانة



صحن البيت.

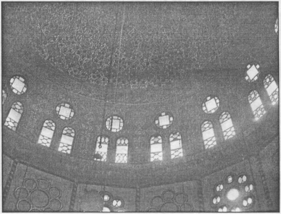


إحدى قاعات البيت.

جامع «محمد بك أبي الذهب»

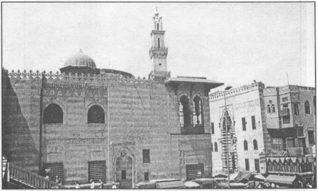


واجهة الجامع المطلة على شارع الأزهر، تعلوها المئذنة والقبة ذواتا الطراز الفريد.

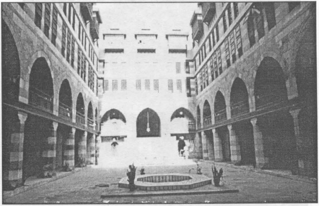


زخارف باطن القبة.

وكالة «الغوري»

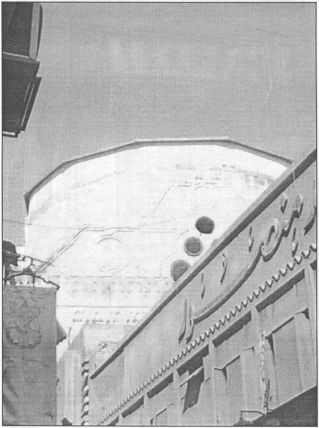


منظر شامل لمجموعة منشآت السلطان «قنصوه الغوري» كما تبدو للسائر في شارع الأزهر: المدرسة / الجامع، والسبيل، والوكالة، والضريح.

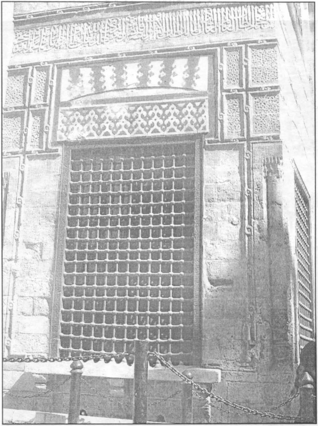


صحن الوكالة وعقوده، تتوسطه فسقية، وتطل عليه مشربيات، ونوافذ غُرَف إقامة التجار.

قبة وسبيل «الغوري»

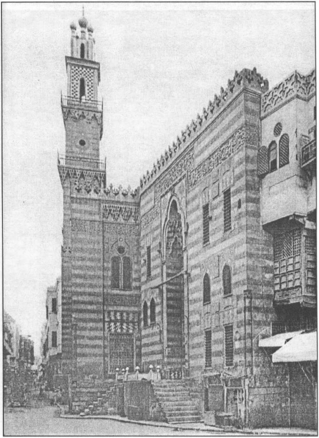


قبة الضريح الناقصة غير مكتملة البناء.

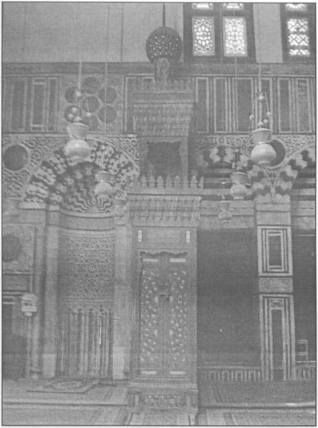


شباك السبيل.

مسجد ومدرسة «الغوري»

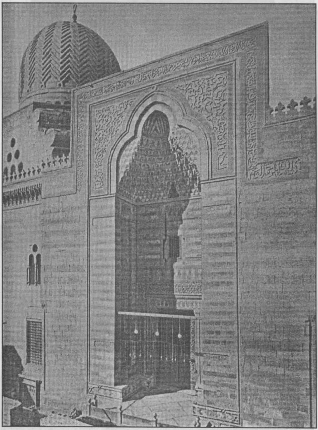


واجهة المدرسة / الجامع.

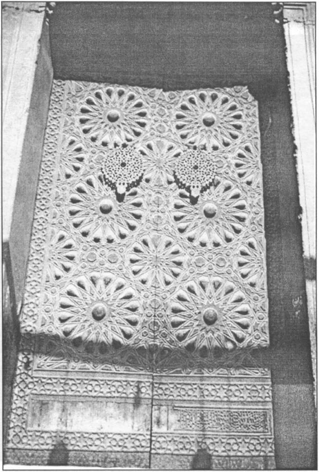


محراب الجامع ومنبره.

جامع «المؤيد شيخ المحمودي»

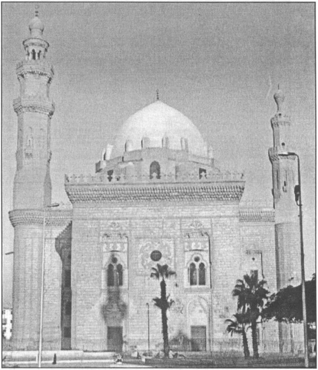


مدخل الجامع وقبته.

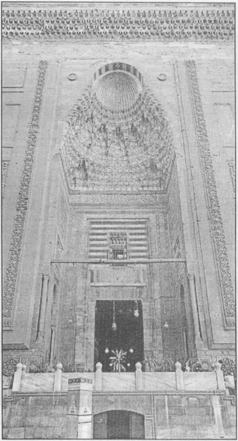


باب الجامع، وقد نُقل إليه من مدرسة السلطان «حسن».

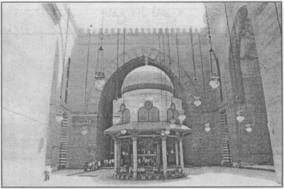
جامع ومدرسة «السلطان حسن»



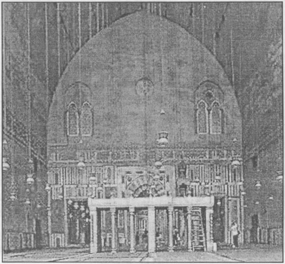
الواجهة المطلة على ميدان «صلاح الدين»، وتبدو بالصورة مئذنتا الجامع وقبته.



مدخل الجامع، وهو أحد أجمل المداخل بالجوامع الأثرية بمصر،
إنْ لم يكن أجملها على وجه الإطلاق!

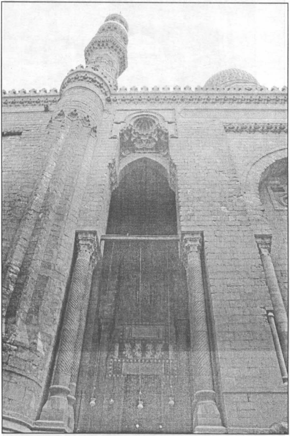


صحن الجامع وفسقيته.

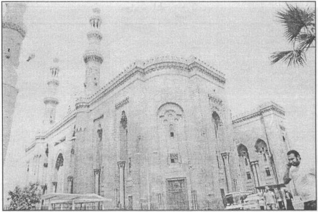


إيوان القبلة ودكّة المُبلِّغ.

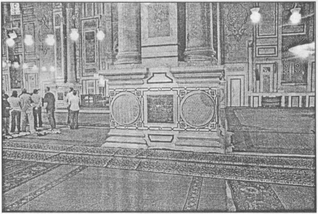
جامع «الرفاعي»



مدخل الجامع.

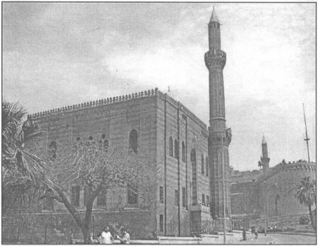


واجهة الجامع كما تبدو للسائر بميدان «صلاح الدين».

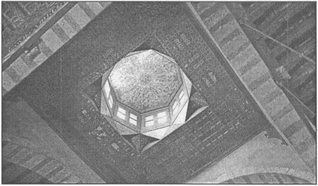


الجامع من الداخل، وتبدو بالصورة القواعد الضخمة للأعمدة.

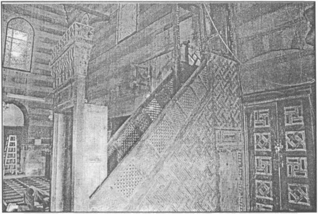
جامع المحمودية



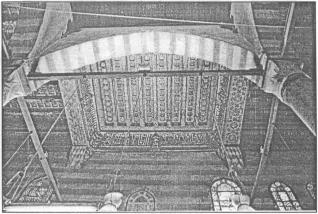
واجهة الجامع المطلة على ميدان «صلاح الدين».



«شخشيخة» للتهوية والإنارة.

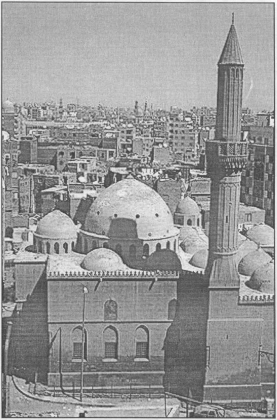


المنبر.

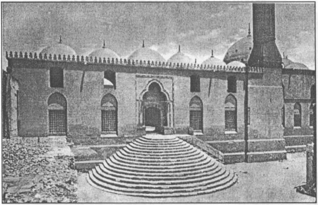


السقف الخشبيّ وزخارفه.

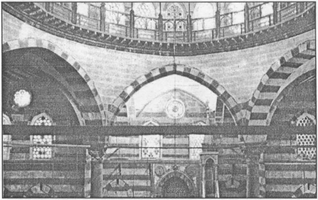
جامع الملكة «صفية»



صورة شاملة للجامع من أعلى، وتبدو فيها مئذنته وقبابه بوضوح.



واجهة الجامع.

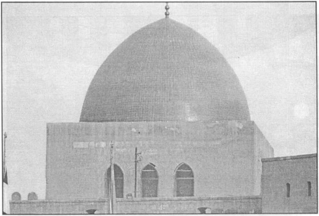


الجامع من الداخل.

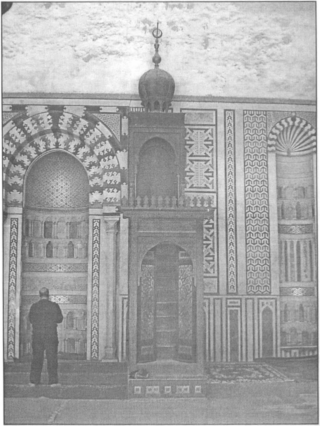
جامع «الناصر محمد بن قلاوون» بالقلعة



واجهة الجامع. صورة ملتقطة من الجهة الشمالية الغربية لتبيّن منارتيْه.



قبة الجامع المغلّفة بالبلاطات الخزفية الخضراء.

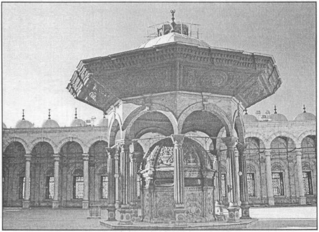


محراب الجامع ومنبره.

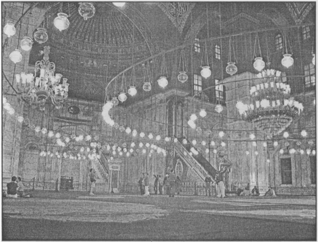
جامع «محمد علي باشا»



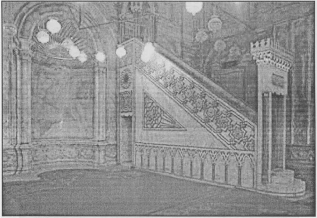
صورة الجامع من الخارج.



صحن الجامع، وبصدارته الفسقية.

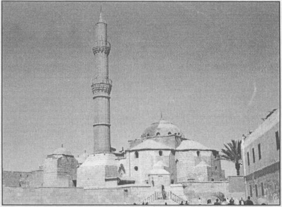


الجامع من الداخل.

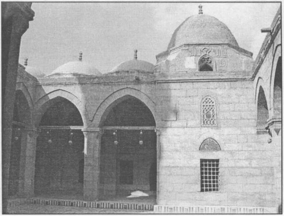


المحراب والمنبر الرخاميان.

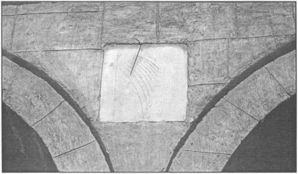
جامع «سليمان باشا الخادم» (سارية الجبل)



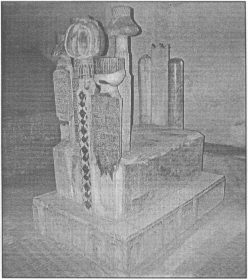
واجهة الجامع، ومئذنته وقبته ذواتا الطراز العثماني.



صحن الجامع.

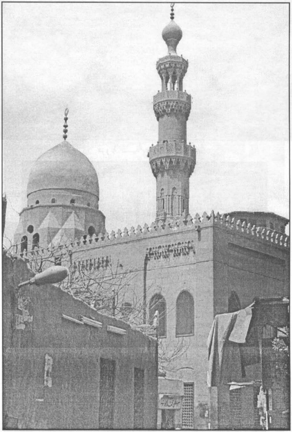


مزولة شمسية بصحن الجامع.

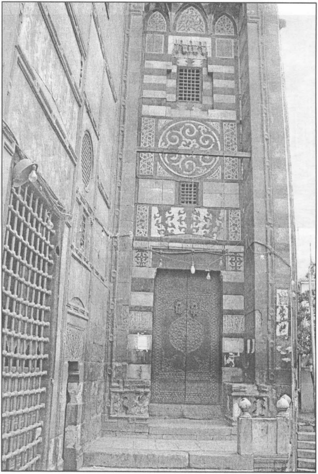


أحد الأضرحة الواقعة بالجامع.

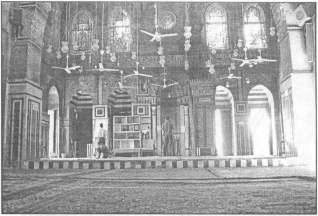
جامع «قِجْمَاس الإسحاقي» (أبي حريبة)



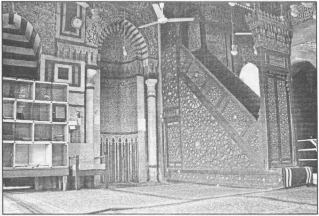
واجهة الجامع ومئذنته وقبته.



مدخل الجامع.

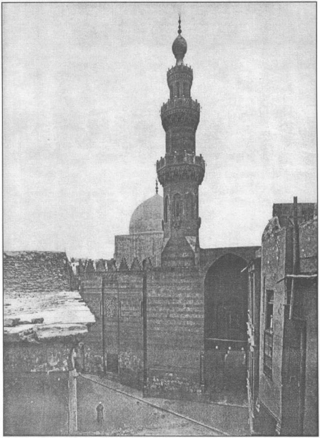


الجامع من الداخل.

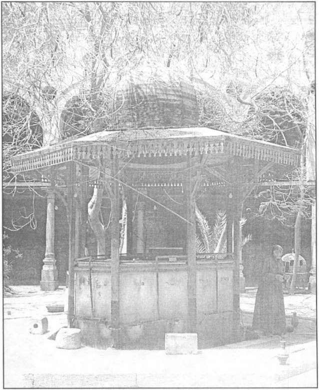


المنبر والمحراب.

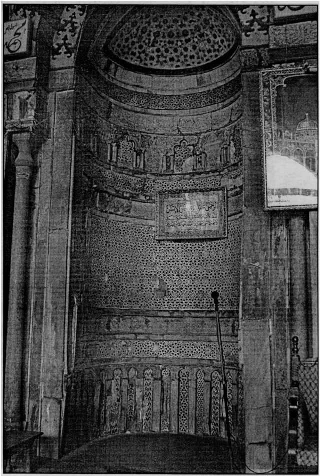
جامع «الطَّنْبُغَا الماردانى»



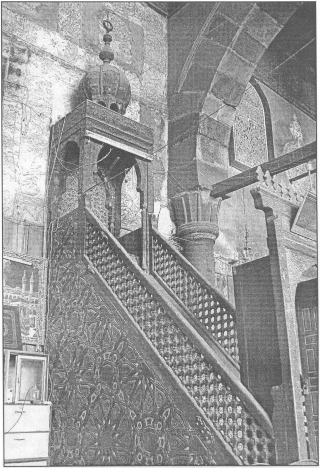
واجهة الجامع ومدخله بشارع الدرب الأحمر.



فسقية تتوسط صحن الجامع،
ويُعتقد أنها منقولة إليه من مدرسة السلطان «حسن».

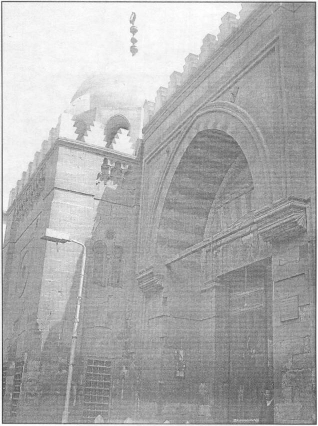


محراب الجامع.

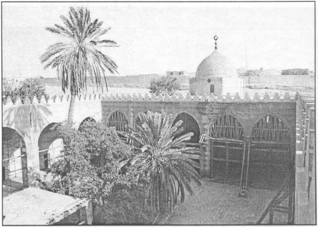


منبر الجامع (وقد تعرَّض مؤخرًا لسرقة حشواته الخشبية الثمينة الظاهرة بالصورة).

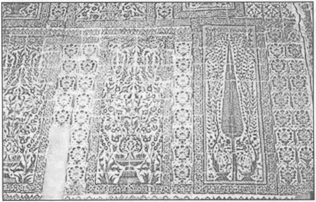
جامع «آق سنقر» (إبراهيم أغا مستحفظان، أو الجامع الأزرق)



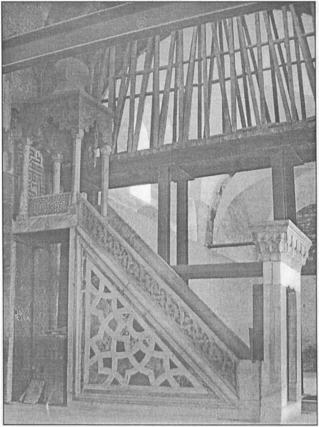
واجهة الجامع ومدخله.



صحن الجامع.

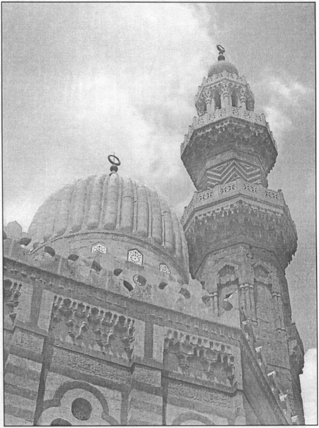


البلاطات الخزفية الزرقاء التي أكسبت الجامع اسمه،
فسُمِّي بالجامع الأزرق نسبةً إليها.

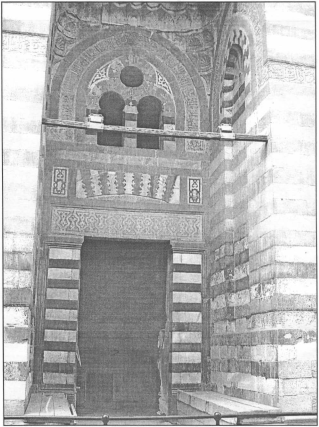


المنبر الرخامي الفريد بين منابر الجوامع الأثرية المصرية.

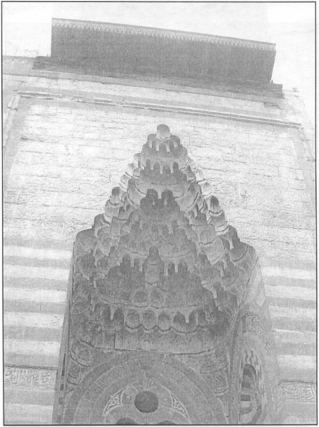
مدرسة «أم السلطان شعبان»



المنارة والقبة.



مدخل المدرسة.

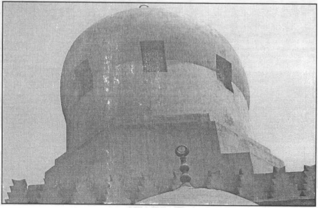


زخارف المدخل.

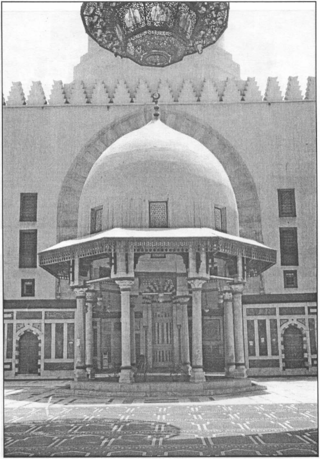
مدرسة «صرغتمش»



منظر عام لواجهة المدرسة، تبدو به المنارة والقبة.

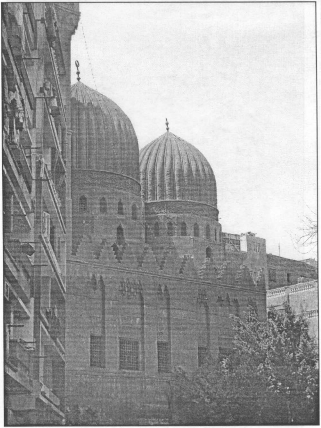


القبة أعلى المحراب. تفصيل.



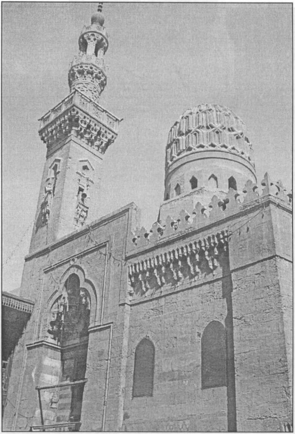
صحن المدرسة وبصدارته الفسقية.

جامع «سلار» و«سنجر الجاولي»

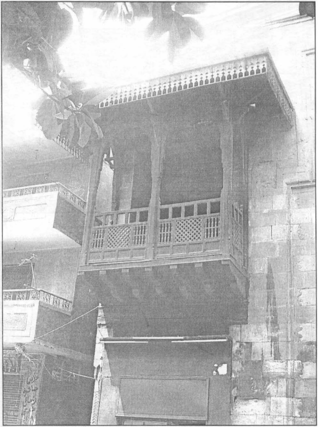


واجهة الجامع وقبتاه.

جامع «تغري بردي»



واجهة الجامع، تعلوها مئذنته وقبته ذات الزخارف الفريدة.

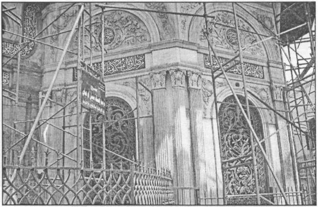


شرفة الكُتّاب الملحق بالجامع، وبأسفلها يقع السبيل.

سبيل «أم عباس»

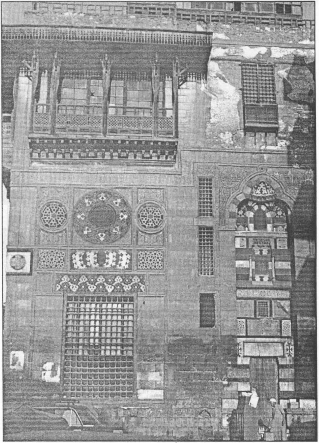


واجهة السبيل (صورة ملتقطة خلال أعمال الترميم).



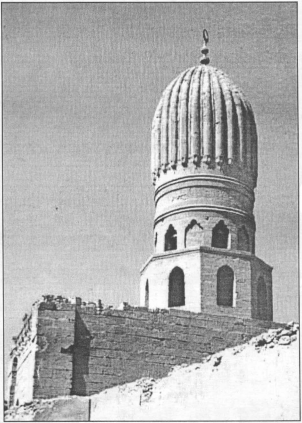
شبابيك السبيل وزخارفه الرخامية (تفصيل).

سبيل وكُتّاب «قايتباي»



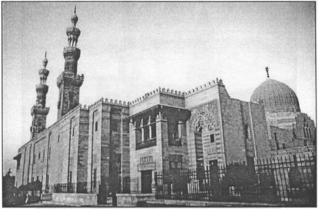
واجهة سبيل وكُتّاب «قايتباي» بالصليبة.

قبة «يونس الدوادار» (أنس)

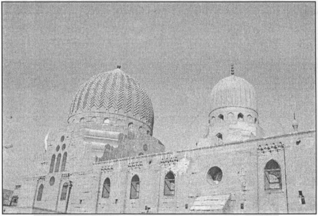


قبة «يونس الدوادار» ذات التصميم الفريد بين القباب الأثرية المصرية.

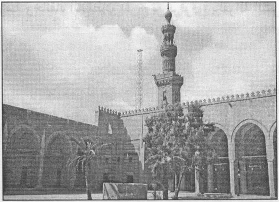
مدرسة وخانقاه السلطان «فرج بن برقوق» بالقرافة الشرقية



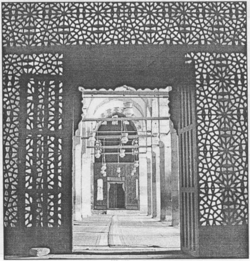
واجهة المدرسة.



القبتان.

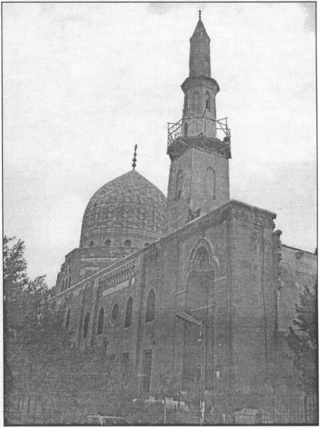


صحن المدرسة.

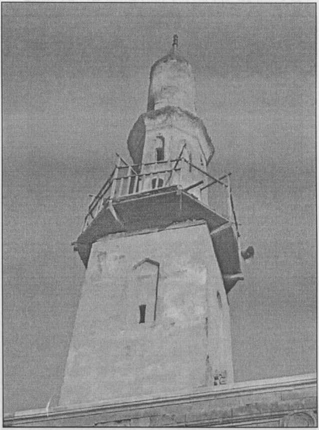


حجاب خشبي مخرم بالمدرسة.

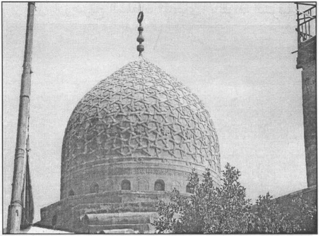
خانقاه وضريح السلطان «برسباي» بالقرافة الشرقية



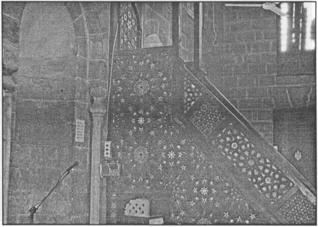
واجهة الخانقاه.



المنارة.

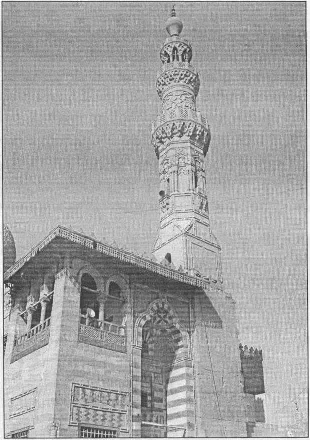


القبة.

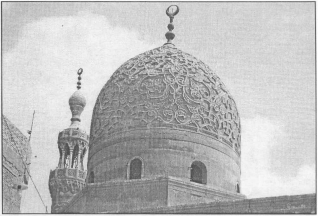


المحراب والمنبر.

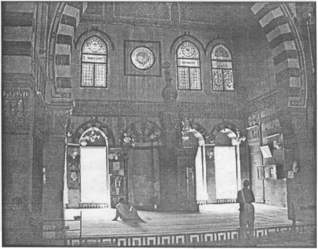
مدرسة وضريح السلطان «قايتباي» بالقرافة الشرقية



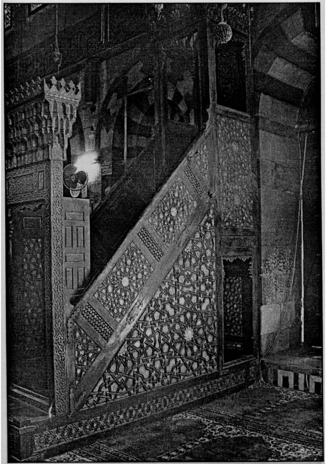
المدخل والمنارة وشرفة الكُتّاب.



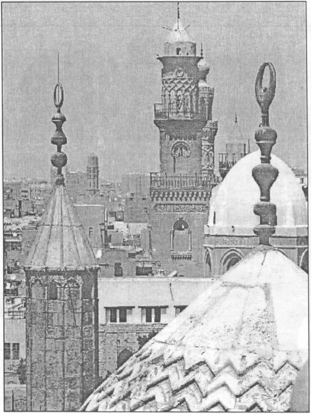
قبة «قايتباي» بزخارفها النباتية المميزة.



إيوان القبلة.



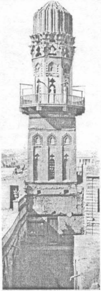
المنبر الخشبي وزخارفه المميَّزة.



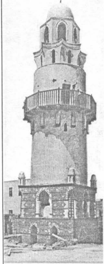
صورة جامعة لمآذن وقباب مساجد منطقة الجمالية بشارع «المعز».



مسجد السلطان قلاوون
THE MOSQUE OF SULTAN QALAUN

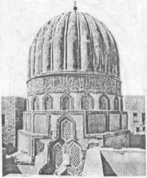


مسجد الصالح نجم الدين أيوب
THE MOSQUE OF AS SALIH NEGM AD-DIN AIYUB

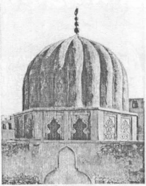


جامع إسنا
THE MOSQUE OF ISNA

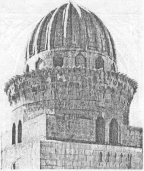
نماذج لمآذن بعض المساجد المصرية من عصور مختلفة



زين الدين يوسف
ZAYN AD-DIN YUSUF



السيدة رقية
AS-SAYYIDA RUQAIYA

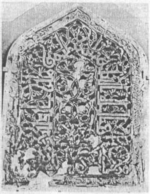


تنكز بغا
TANKAZ BOGHA

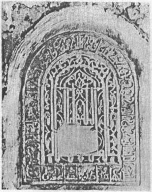


صرغتمش
SARGHATMISH

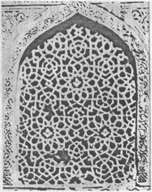
نماذج لقباب بعض المساجد المصرية من عصور مختلفة



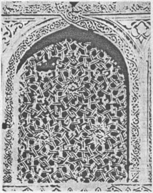
جامع الصالح طلائع
THE MOSQUE OF AS SALIH TALA'I



جامع الحاكم
THE MOSQUE OF AL HAKIM

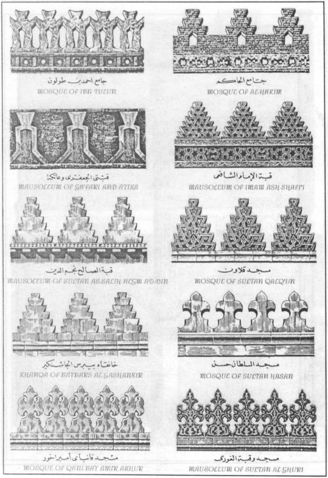


جامع الظاهر بيبرس
THE MOSQUE OF AZ ZAHIR BAYBARS

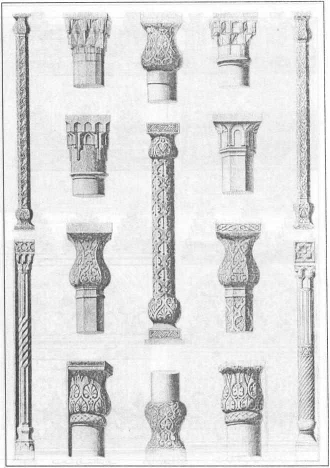


جامع الظاهر بيبرس
THE MOSQUE OF AZ-ZAHIR BAYBARS

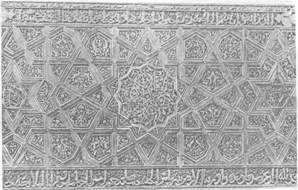
نماذج لشبابيك جصية من بعض المساجد المصرية من عصور مختلفة



نماذج لشرافات (عرائس) بعض المساجد المصرية من عصور مختلفة

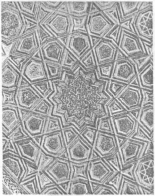


نماذج للأعمدة الإسلامية وتيجانها وزخارفها



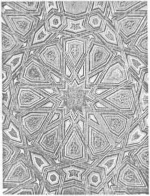
تفصيل تابوت ضريح الإمام الشافعي ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م)

DETAIL OF CENOTAPH OF IMAM ASH SHAFI'I
574 H. (1178)



تفصيل منبر جامع الصالح طلائع ٦٩٩ هـ (١٢٩٩/١٣٠٠ م)

DETAIL OF MINBAR OF THE MOSQUE OF
AS SALIH TALA'I 699 H. (1299/1300)



تفصيل منبر جامع المارداني ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م)

DETAIL OF MINBAR OF THE MOSQUE OF
AL-MARIDANI 740 H. (1340)

نماذج لبعض الزخارف الخشبية



مسجد الناصر محمد

THE MOSQUE OF AN-NASIR MUHAMMAD



مسجد الناصر محمد

THE MOSQUE OF AN-NASIR MUHAMMAD



جامع الأمير الماس

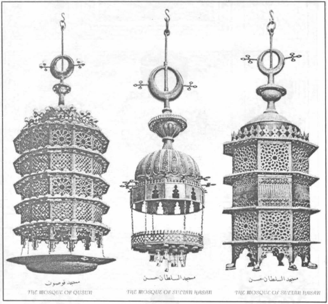
THE MOSQUE OF THE AMIR ULMAS



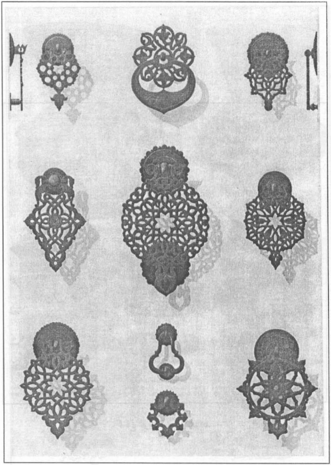
مسجد السلطان حسن

THE MOSQUE OF SULTAN HASAN

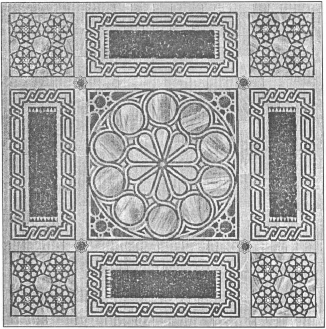
نماذج لمشكاوات



نماذج لثريات بعض المساجد



نماذج لمقابض الأبواب (السماعات)



أرضية رخامية بجامع الأمير «أزبك اليوسفي»

طبعة خاصة تصدرها
دار العالم العربي
ضمن مشروع مكتبة الأسرة

20 عشرون عاماً
القراءة للجميع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774217816
6 221149 020436

مكتبة الأسرة ٢٠١٠

٣ جنيهات